

تأليف عمر

الخوارج

ودورها في تاريخ المغرب

منذ بداية حركة الخوارج: أواخر القرن 1هـ - 7م

حتى انتهاء ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد

335هـ - 946م

تابليت عمر

هــوارة

ودورها في تاريخ بلاد المغرب

منذ بداية حركة الخوارج: أواخر القرن 1هـ - 7م
حتى انتهاء ثورة أبي زيد مخلد بن كيدان 335هـ - 946م





ص ب 62 عين الباي قسنطينة 25043 الجزائر

الهاتف / الفاكس +21331675289

Elalmaia15@gmail.com

الكتاب: هوارة ودورها في تاريخ بلاد المغرب

المؤلف: تابلت عمر

الناشر : دار الألمعية للنشر والتوزيع

التصنيف: قسم التصنيف

الغلاف: دار الألمعية

التوزيع: دار الألمعية

ردمك: 1-36-305-9931-978

الإيداع القانوني: 2011-5189

الطبعة: الأولى 2011

الحقوق محفوظة لدار الألمعية:

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق

استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال ، دون إذن خطي مسبق

من الناشر.

أهداء

- إلى كل من حاول أن يغير ويصلح فوجد نفسه من المقصيين.

- إلى الذي قال: لا للتزوير والمحابة، فرمي بالقصور والتقصير وكان جزاؤه الفهقري.

- إلى كل من امتعض من عملية ترميم وإعادة ترميم الأرصفة، وطلاء الواجهات، وتدشين المدشن، ولم يجد وسيلة للتعبير عن الامتعض، لأن ذلك أصبح عادة ووسيلة للترقية أو الخلود في المنصب... ومجرد الإشارة إليها ينجم عنها قطع الاصبع.

- إلى روح أخني (إسماعيل) في الخالدين.

- إلى أفراد عائلتي ولا سيما أبنائي وأهمهم.

إلى هؤلاء جميعا،

أهدي هذا الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم
موسمًا من مواسم الخير والبر

والذي جعل في كل شهر من شهوره
موسمًا من مواسم الخير والبر

والذي جعل في كل شهر من شهوره
موسمًا من مواسم الخير والبر

والذي جعل في كل شهر من شهوره
موسمًا من مواسم الخير والبر

والذي جعل في كل شهر من شهوره
موسمًا من مواسم الخير والبر

والذي جعل في كل شهر من شهوره
موسمًا من مواسم الخير والبر

مقدمة

هذا البحث هو في الأصل رسالة جامعية ، قدم جزء منها عام 1980م لنيل منهجية البحث في الدراسات العليا بجامعة الجزائر.

أما الجزء الثاني مع الأول فقد أعد لنيل دبلوم الدراسات المعمقة (نظام قديم) تحت إشراف الدكتور ل.م.

ولم يناقش البحث في حينه لعدة أسباب منها:

(1) الانتقال من تيزي وزو القريبة من العاصمة إلى عنابة.

(2) الانشغال والارتباط الزائد بالعمل.

وقد ظل المشروع حبيس الدرج، إلى أن تقرر الإفراج عنه، وبعثه في شكل كتيب، يضع لبنه في صرح المعرفة، وكلما أرجوه أن ينال رضا القارئ الكريم.

أما الفضل فيعود إلى مجموعة من الأساتذة أذكر منهم:

- محمد علي دبوز، مؤرخ وادي ميزاب، الذي زودني بتوجيهاته، ونهلت من كتابه: المغرب الكبير.

- عبد المجيد حبة الذي استضافني في بيته (المغير) وفتح لي مكتبته حيث مكثت بها أياما، قارئاً ومستتسخا، ومستعيرا للبعض من كتبه ولاسيما كتب الرحلات.

- زهير الزاهري الذي وجهني وزودني ببعض الكتب منها قبائل المغرب لعبد الوهاب بن منصور المعروف بمؤرخ المملكة المغربية.

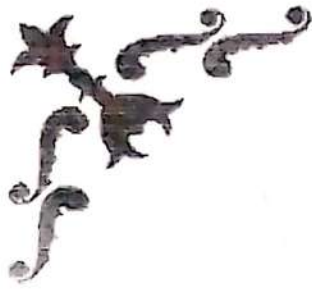
- الدكتور جاجيات الذي لفت انتباهي إلى دائرة المعارف الإسلامية بالفرنسية.

أما ما ينقص هذا العمل :

• تحديد الأماكن لكثرة التنقل بسبب الفتوحات الإسلامية، والحروب المتتالية (حروب الردّة والحركات المذهبية).

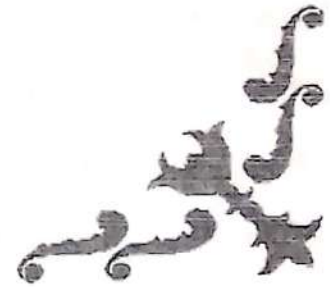
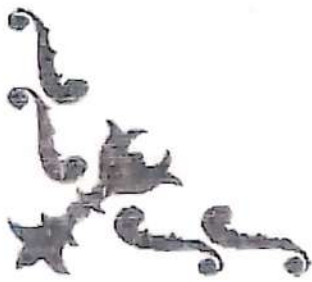
• تحديد الإطار الزمني بدقة لتواجدها في منطقتها الأصلية (طرابلس) وانتشارها.

• تحديد إلى أي الفروع تعود تلك التجمعات المنتشرة هنا وهناك.



الفصل الأول

نحسب القبيلة ومضاربها





الفصل الأول

نسب القبيلة ومضاربها

تمهيد:

لفظة "بربر" لم يقتصر إطلاقها على سكان المغرب العربي القدماء، بل أطلقت على قوم قبلهم؛ أطلقت في عهد هومير على الأمم الغربية عن لغة اليونان، وفي عهد بلتوس على الروم ماعدا سكان روما⁽¹⁾، ويحلو للأوروبيين أن يستعملوها لما فيها من معنى الهمجية والبداءة، ويخصوا بها هؤلاء السكان الذين يرفضونها ولا يعترفون إلا بالتسمية التي أطلقوها على أنفسهم وهي "الامازيغ" نسبة إلى جد هم مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام. وقد كانت منازلهم على أيادي الدهر فلسطين.

وبعد أن قتل ملكهم جالوت، رحلوا إلى بلاد المغرب وتنازلوا بها وعمرروا المغرب من أدناه إلى أقصاه⁽²⁾.

والبربر يجمعهم جذمان عظيمان هما: برنس ومادغيس
الأبترو وشعوب البرانس عند النسابين سبعة هي: أزداجة، ومصمودة،
وأوربة، وعجيسة، وكتامة، وصنهاجة، وأوريغة (هواره). وزاد إمام
النسابة وشيخ الجماعة سابق المطماطي: لمطة، وهسكورة، وجزولة.
أما شعوب البتر فهي: أداسة، ونفوسة، وضريسة، وبنو لوا الأكبر،
نقزاوة، ولواتة⁽³⁾، وقد تفرقت كل قبيلة من هذه القبائل إلى عدد لا
يحصى من الفروع، وانتشرت في ربوع المغرب.

وبعد الفتح الإسلامي اختلطت بغيرها من القبائل العربية، ويصعب
الآن تحديد أماكنها؛ فالعرب والأمازيغ معا هم أجدادنا، ولا مجال
للادعاءات المفرضة التي ترمي الآن إلى تقسيم سكان المغرب العربي
عامّة والجزائر خاصة إلى بربر وعرب.

نسبها:

هوارة من أكبر هذه القبائل وأعتاها أقبلت على الإسلام واعتقته على خلاف بقية القبائل الحضرية التي تنتمي إلى فرع البرانس، ثم خاضت حروبا سياسية ومذهبية بعد ذلك، ولعبت بذلك دورا هاما في تاريخ المغرب الإسلامي. غير أن هذه الحروب لم تتمخض عن شيء سوى عن اضعافها وتشتيتها وأصبحت على حد تعبير ابن خلدون "في عداد القبائل الفارمة من كل ناحية". ولاشك أن هذه الأدوار التي لعبتها، والوضعية السياسية والاجتماعية التي أضحت عليها بعد ذلك، وما قام بينها وبين بعض القبائل العربية من تشابه، مثل كريب العربية من بطون همدان والتي تقابل (كريب الهوارية) وذو هرم من هوار من حمير.

كل هذا جعل المؤرخين المشاركة والمغاربة على السواء يختلفون حول نسبها؛ لقد رأى بعضهم أنها من أصل عربي، وهؤلاء بدورهم ينقسمون على أنفسهم ويختلفون حول نسبها العربي؛ فتارة يقولون أنها من أصل يمني حميري، وأخرى أنها من إحدى بطون قضاة أو من كنده من السكاسك⁽⁴⁾ كما رأى البعض الآخر وهم الأكثرية أنها من أصل بربري وأنها كما أسلفنا من فروع البرانس⁽⁵⁾.

وهوارة نفسها ترى أنها عربية حميرية أحيانا، وأحيانا أخرى أنها من البربر القدم، كانت منهم ثم فارقت ديارهم وصارت إلى برقة⁽⁶⁾.

ومثلما تنكرت لنسبها البربري، تنكرت لسانها البربري وأصبحت أينما وجدت لا تتحدث إلا بالعربية. ولا شك أن هذا يعتبر منها إعجابا برسالة الإسلام وبحاملي هذه الرسالة. وهوارة من القبائل المغربية التي

عملت على نشر اللغة العربية بصعيد مصر أخذتها بافريقية نتيجة للمصاهرة والاختلاط بالعرب الفاتحين ثم نقلتها.

وعن تسميتها بهوارة ينقل إلينا التيجاني في رحلته حكاية مفادها " أن المسور بن يخصب كان ساكنا بالحجاز، فضلت له إبل، فتوجه في طلبها إلى أن بلغ مصر، ودخل بلاد المغرب طالبا لها، فمر بجبال طرابلس، فقال لفلان: أين نحن من الأرض؟ فقال بأرض إفريقية، فقال: لقد تهورنا"⁽⁷⁾ ولا شك أن هذه الرواية كما يقول عنها العلامة ابن خلدون مصنوعة وإن أثر الصنعة واضح عليها، ولا حاجة إلى التدليل عليها، وأن ما اتفق عليه المؤرخون، ويتقبله العقل هو أنها سميت كذلك، أي هوارة نسبة إلى هوار أكبر أبناء أوريج سنا وأشهرهم، وتسمى أحيانا أوريفة نسبة إلى أوريج جد القبيلة كلها. وموطنها الأول مثل سائر القبائل البربرية الأخرى كما قال المسعودي في كتابه مروج الذهب: "فلسطين من بلاد الشام" وسبب رحيلهم عنها أنه لما قتل داوود عليه السلام ملكهم جالوت (وقد كانوا شيعة لفلسطين على بني إسرائيل) انتقلوا إلى بلاد المغرب فنزلت زناة ومغيلة وضريبة أرض برقة، ونزلت هوارة بلاد إياس (المدن الثلاثة) أي طرابلس الحالية.⁽⁸⁾ وذلك على حد تعبير ابن خلدون من أرض لا يعرف أولها ولا بما قبلها حتى جاء الإسلام.

فروعها:

فروع هواره كثيرة جدا، منها ما هو من نسل أبناء أوريج الأربعة (هوار، مقر، قلدن، ملد) ومنها من نسل غيره (عربية، بربرية) اندمجت في هواره وصارت تعرف بهذا الاسم⁽⁹⁾.
فأما البطون المتفرعة من أبناء أوريج فهي:⁽¹⁰⁾

1- من ملد:

مليلة: وهي اكبر بطون القبيلة وأكثرها انتشارا في جميع الجهات التي استوطنتها القبيلة، إما مستقلة بنفسها أو مندمجة مع غيرها من القبائل البربرية والعربية، وإليها تنسب عدة أماكن، كعين مليلة جنوب قسنطينة، ومدينة مليلة المغربية، ومليلي شمال ولاية مازر (صقلية)

سطات: وقد وردت في تاريخ ابن خلدون (وسطط) وفي جمهرة ابن حزمة (ستات)

ورفل: وإليها ينسب موضع بطرابلس، ولعل منها ورفلة التي كانت تنتشر بين باغاية ودوفانة وفي ضواحي طينة⁽¹¹⁾

مسراته: وإليها تنسب المدينة الشهيرة الطرابلسية ومن آثارها بالمغرب الأوسط غار مسراتة في الجبل المطل على البطحاء.

ونيفن: وقد اعتبرها سابق المظماطي من بطون ملد.

وهذه البطون جميعا تعرف ببني لهانة.

2- من هـوار:

بنو كهلان: وتشمل البطون التالية:

زكارة: وقد وردت في تاريخ ابن خلدون (زكاوة) واليها ينسب جبل زكار في المغرب الأوسط.

مجرس: نسبة لأهمهم (مجرس) وهم سكان زنزور قرب طرابلس.

مسلاته: واليها تنسب جبال مسلاته بطرابلس، وقد كانت موطنها لها.

غريان: وبها سميت قرية واقعة في جنوب مدينة طرابلس.

ورغة: إليها ينسب نهر بشمال المغرب الأقصى ولا تزال منها بقية في جنوب افريقية.

هكارة: سكان جبال الهقار.

هيوارة: وبني كسا ولشوة وورتاكت.

3- من مقر:

زمور: ويوجدون في جميع البلاد المغربية، وفي منطقة الاوراس (أبو حمار وبعلى ومروانة) ألقاب زموري وزمورة ولعلها من هذا البطن.

كبا: وقد وردت في جمهرة ابن حزم (كذا) وفي تاريخ ابن خلدون (كياد).

كركودة: وهي من البطون التي زادها سابق المطماطي وأصحابه.

منداسة: واليهما ينسب وادي منداس غرب المغرب الأوسط ومنها الشاعر سعيد بن عبد الله المنداسي الشهير.

ورجين: وهي من البطون التي عدها سابق وأصحابه في مقر ومازالوا يعرفون باسمهم الأصلي (بين القالة وعنابة) بني ورجين.

سراي: وكتبت أيضا مسراي ومسرات.

ماواس: أو ماوس.

4 - من قلدن:

قمصانة وورسطيف (وقد تكون تسمية سطيف نسبة لها) وبيانة أو بيانة وفل، وقد كتبت أيضا بل، وفل أصح لوجود ما يدل عليها من الأسماء مثل آيت وفلة.

أما البطون الأخرى التي اندمجت في هواره فمنها⁽¹²⁾ - بطون أداسة البترية، وقد اندمجت فيها قبل الإسلام وبسبب أن أم أداس تزوجها- "بعد زحيك بن مادغيس الأبتري" أوريج بن برنس وتشمل: هراغة، ترهوتة، شتاتة، انداوة، هنزونة، أوطيطة، صنبرة.

أما البطون العربية فقد اندمجت فيها بعد الإسلام وشاركتها في مواطنها ورافقتها في الزحوف.

ومنها في تلول إفريقية:

- بطن من عرب مضر بضواحي باجة.
- بطن من بطون ريباح ينتمون إلى عتبة بن مالك.
- بطن من مرداس بني سليم يعرفون ببني حبيب.

وهي مثل هواره في النشاط الاقتصادي فهم (أهل بقر وشاة وركوب خيل) وفي الوضعية الاجتماعية) عليهم وظائف من المغرم مقررة وبعث من العسكر مفروض يحضر بمعسكر السلطان متى استنفروا لذلك...) (13)

مضاربها:

في الأزمنة القديمة جدا كانت تحتل بلاد أياس (طرابلس الحالية) وغداة الفتح الإسلامي وجدت في المنطقة إلى جانب بعض القبائل البربرية مثل نفوسة وزناتة ومزاتة ولواتة. (14)

وفي العشریات الأخيرة من القرن الأول الهجري / السابع الميلادي (أثناء الحركات الكبرى). هربت كغيرها من القبائل البربرية وانتشرت في إفريقيا الشمالية. (15) ومع بداية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي تبنت المذهب الخارجي بشكليه الصفري والاباضي (الوهابي والنكاري) وشاركت في جميع ثورات الخوارج منذ انتفاضة الصفريين عكاشة وعبد الواحد (124هـ - 742م) إلى ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (331هـ - 943م) وعلى إثر هذه الثورات حدثت تنقلات كثيرة لبعض فروع هواره من الشرق إلى الغرب والعكس. (16) ولا ننسى ما قدمته من خدمة للإسلام، فلقد شاركت إلى جانب طارق بن زياد في فتح الأندلس، ومع أسد بن الفرات في فتح صقلية واستقرت هناك. ومع انتقال الفاطميين إلى مصر انتقلت جموع من هواره واستقرت أولا في شمال مصر ومنها انتقلت إلى جنوب مصر ثم شمال السودان ولعبت دورا هاما في تاريخ العروبة في وادي النيل وهذه المضارب:

في المغرب الأدنى:

بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وبعد الأحداث التالية لعملية الفتح حدثت تنقلات لأجزاء من هوارة داخل المغرب الأدنى (ليبيا الحالية) وأصبحت تعيش في كل أقاليمه الثلاثة :

1- برقة:

كانت من مواطن هوارة، وهي التي شاركت في الفتح الفاطمي لمصر سنة 358هـ/969م ووضعت البذور الأولى لهوارة في مصر ما بين الإسكندرية ومصر القديمة.⁽¹⁷⁾ ومازال فرع منها إلى عهد ابن خلدون يعرف ببني جعفر يعيش في برقة، وقد ثار خلاف حول أصلهم فقيل من العرب: تارة من العزة، وأخري من الهيب وثالثة من فزارة، والأصح كما قال ابن خلدون من مسراطة احدي بطون هوارة⁽¹⁸⁾.

ومن مواطنهم ببرقة، زويلة، وتعرف بزويلة بني خطاب انتقلوا إليها بعد سقوط إمارة أبي الخطاب، وكانت عاصمة لهم حتى عرفت بهم، ولما خربت انتقلوا منها إلى فزان⁽¹⁹⁾.

2- طرابلس:

وتعتبر أقدم موطن لهوارة، وإلى منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي ما تزال هوارة في هذه المنطقة، وكانت حدودها وقتئذ تمتد من تاورغا غربا إلى فزان جنوبا وطرابلس غربا⁽²⁰⁾. وإلى عهد متأخر كانت هوارة تحتل عدة مراكز في موطنها القديم نذكر منها:

- مسراطة: بين سرت شرقا وزاوية المحجوب غربا وعلي مسافة يوم إلى الجنوب، وإلى عهد ابن خلدون سكانها من مسراطة الهوارية، وكانوا يمارسون التجارة مع مصر وبلاد الجريد وأرض السود⁽²¹⁾.

- زنزور: وهي قرية من قرى طرابلس، سكانها من مجريس الهوارية كانت من أملاك أهل مدينة طرابلس، باعوها أثناء فتنة ابن غانية الميورقي حين انقطعت الصلة بينهم وبينها. وقد كان لمجريس بها قوة واشتداد، وما كان أحد يقدر علي دخولها حتى جاءت الحملات العربية التي خرجت من صعيد مصر، وأصبحوا بها خدما وعبيدا أشبه بأقنان الأرض في أوروبا خلال العصور الوسطي ينتقلون معها هم وأولادهم وعيالهم وليس لهم منها إلا النصح في الخدمة⁽²²⁾.

- لبدة: وهي أقدم موطن لهوارة كانت عاصمة لها، تسكنها قبيلة مسلاتة التي لا يزال اسمها يطلق علي جبال مسلاتة في إقليم طرابلس، وقد كانت هذه القبيلة ذات مركز قوي إلى غاية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي⁽²³⁾.

- إلى الشرق من أرض هوارة ووسط بلاد مزاة كانت تعيش قبيلة منداسة الهوارية⁽²⁴⁾.

- ضواحي طرابلس حيث أشير سنة 681هـ/1282م إلى وجود قبيلة مقر، ومن آثارها وادي مقر في الجنوب الشرقي لزلتن. وكذلك قبيلة مليلة في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وأن كان مقرها غير معروف بالتدقيق⁽²⁵⁾.

وهناك قبائل أخرى غير مستقرة كانت تنتقل في هذا الإقليم مثل ترهونة وبني غريان وبنو ورفلة وهذه القبيلة الأخرى شكلت في القرن

الثالث الهجري/التاسع الميلادي مع قبيلة مسراتة ومرمزيان الفرع الشرقي لهوارة طرابلس،⁽²⁶⁾ الذين يسمون لهانة وهم الذين ثاروا ضد الحكم الأغلب سنة 245هـ/895م. وهوارة طرابلس كانت الدعامة الأساسية للإمامين الاباضيين أبي الخطاب وأبي حاتم، وقد ظلت لمدة طويلة وفيه للمذهب الاباضي باستثناء قسم من مليلة وسكان ضواحي كرزنة⁽²⁷⁾.

3- فزان:

في فزان قامت دولة بربرية اباضية صغيرة من بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي إلى نهاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي، هذه الدولة حكمتها أسرة هوارية عرفوا ببني خطاب⁽²⁸⁾، وقد استمر حكمهم لها إلى أن قضى عليها قراقوش مملوك تقي الدين بن أخ صلاح الدين الأيوبي في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي⁽²⁹⁾.

- قبيلة أخرى هوارية هي بنو كلدن سكنت مدينة فزانة تسمى تمرمة⁽³⁰⁾.

- زالة غرب أوجلة على بعد 10 مراحل، كانت خلال العصور الوسطى سوقا عامرة ومدخلا للقوافل التجارية إلى ساحل غانا (مملكة الدمدم) سكانها من هوارية⁽³¹⁾.

في إفريقية:

- ضواحي قابس: تعيش بها قبيلة زنزافة الهوارية وقد ظهرت بهذه المنطقة مع بداية القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، وكانت على المذهب الاباضي وتابعة للدولة الرستمية⁽³²⁾.
- ضواحي توزر: واحة أخذت تسميتها من سطايط إحدى فروع قبيلة هواره⁽³³⁾.
- بين قابس وصفاقس فرع من هواره قدم من طرابلس في وقت يصعب تحديده، وإلى عهد ليون الإفريقي كانت تتحدث اللهجة البربرية التي يتحدث بها سكان جربة⁽³⁴⁾.
- جزيرة جربة: استقرت بها هواره في القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي، وكانت على المذهب الاباضي⁽³⁵⁾.
- بعض فروع هواره استوطنت في بطن المرج في القطاع الشمالي للساحل التونسي خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي⁽³⁶⁾.
- سهل القيروان: استوطنته هواره على فترات متعاقبة، وأقدم فرع منها قدم إلى هذه المنطقة يعود إلى 141هـ/758م، قدم مع عبد الرحمان بن رستم وإلى إفريقية من قبل الإمام الاباضي أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وقد انضم إليهم سنة 315هـ بنو كملان الهواريين الذين نقلهم أبو القاسم العبيدي من ضواحي المسيلة⁽³⁷⁾ (غدير وارو). ثم مجموعة ثالثة من بني كملان قدمت من الزاب إثر هزيمة أبي يزيد مخلد بن كيداد واستقرت بالقيروان.
- جبل زغوان: هذه المجموعة وطنها في هذا الجبل أبو القاسم العبيدي.

- ضواحي باجة: قدمت إليها سنة 124هـ/742م مع القائد الصفري عبد الواحد بن يزيد الهواري، وقد يكون هذا الفرع هو الذي ثار على الأمير الأغلب إبراهيم بن أحمد سنة 268هـ/882م بهذه المنطقة⁽³⁸⁾.

- شمال باجة: في هذا الاقليم وخلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، يقيم فرع من قبيلة هواره هي بنو سليمان⁽³⁹⁾.

- الشمال الغربي للتل الأعلى التونسي: يقيم به وإلى وقت متأخر فرعين من هواره هما بنو ورغة وبنو وشتاتة⁽⁴⁰⁾.

- بين سهل مرماجة (برمجنة حاليا) وبالتحديد على ضفاف وادي سرت، وضواحي تبسة يعيش حوالي القرن 8هـ/14م فرع من هواره يدعى بني ونيفن، والذي مازال قسم منه يقيم في ضواحي الكاف تحت اسم ونيفة⁽⁴¹⁾.

- ناحية سببية (هنشير صبيغة) وحوالي القرن 5هـ/11م يقيم فرع من بني كملان⁽⁴²⁾.

- بين تبرسق وزغوان: تقيم قبيلة بصوة الهوارية حوالي القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي⁽⁴³⁾.

- سهل أبة: وتقيم به قبيلة قيصر الهوارية والتي ظهرت بهذه المنطقة ابتداء من سنة 624هـ/1227م وامتدت إلى ضواحي الاريس⁽⁴⁴⁾.

في المغرب الأوسط:

وصول هواره إلى المغرب الأوسط يعود إلى فترة مبكرة من الفتح الإسلامي، ولقد استوطنت مناطق واسعة منه، وأهم هذه المناطق:

1- ضواحي تبسة:

وينتسبون إلى قبيلة ونيفن، ورئاستهم لعهد ابن خلدون في أولاد بعة بن حناش (ولهذا يقال لهم أحيانا الحنانشة)، وهم على التوالي: أولاد سليم، أولاد زيتون، وأولاد دحمان وكانت رئاستها قبلهم لسارية من بطون ونيفن⁽⁴⁵⁾.

ويرى الكعك أن هذه القبيلة قد اتسعت إلى درجة أن انفصلت عنها بطون هي: النمامشة بضواحي تبسة، والحراكتة بضواحي عين البيضاء، ويطون أخرى تشغل المنطقة الممتدة ما بين عين البيضاء و قالمة⁽⁴⁶⁾.

2- الأوراس:

حلت هواره بالأوراس أيام اشتداد الحرب بين حسان بن النعمان و جيوش الكاهنة، ودخلت في الإسلام مع من به من قبائل زناتة⁽⁴⁷⁾، وشاركت في الجيش الذي أعد لفتح الأندلس وسبب نزوحها إلى هذا الجبل كما قال الجيلالي: هو الاضطراب السياسي الذي عاشته طرابلس وقد انصرفوا لهذا الجبل لرعي الغنم، وسكنوا جباله وسفوحه و ما حولها من المدن والقرى مثل باغاية، وطبنة، وخنشلة، ومنعة، وآريس (وقد تكون قرية بليهود إحدى مراكزها بأريس، نسبة إلى هود بن محكم الهواري) ولمبيز، ونقاوس، وبلزمة (ما تزال

بها إلى الآن قرية لهوارة تعرف بهذا الاسم، وبها ما يزيد عن ستة آلاف نسمة) وتيمقاد، وتهودة⁽⁴⁸⁾.

كانت هوارة أوراس أول من اعتنق المذهب، وقد استمرت عليه إلى أواخر القرن الخامس الهجري بعد انقراض الدولة الرستمية بقرنين⁽⁴⁹⁾. وكانت أحد الملاجئ التي آوت اباضية تيهرت. ولما كانت ثورة أبي يزيد كانت هوارة أوراس عوناً له ضد الدولة الفاطمية التي هددها زمناً طويلاً، وبعد مقتل أيوب بن يزيد بقيت هوارة أوراس على ثورتها إلى أن جهز لها المعز بن منصور جيشاً قوياً بقيادة بلكين بن زيزي، فهزم جموعها بسفح غزالة قرب باغاية وشنتها في بلاد الزاب وبلغت فلولها إلى بلاد السودان⁽⁵⁰⁾. وبقي بها عدد قليل وهم إلى عهد ابن خلدون تحت سيادة لواته⁽⁵¹⁾.

3- جبل هوارة:

قبل أن تنتقل إليه كانت مواطنها جنوب تيهرت، وقد لعبت دوراً هاماً في قيام الدولة الرستمية، وبعد انتقال الحكم إلى عبد الوهاب بن رستم، ساءت العلاقة بينه وبين القبيلة، وأدت إلى رحيل جموع منها عن مضاربهم، ونزلوا بمكان عرف بوادي هوارة على بعد عشر أميال من تيهرت، ومن هناك، ظلوا يغيرون على الإمام عبد الوهاب وأتباعه، الأمر الذي جعله يستنجد بنفوسة وغيرها ويعد جيشاً تمكن به من هزيمة هوارة، وفرار معظمها إلى جبل ينجان⁽⁵²⁾، وقد اتخذته معقلاً وملاذاً وكونت به ما يشبه إمارة. وقد حاولت الدولة الرستمية حملها على الانضواء تحت لواء الحكومة المركزية ولكنها لم تفلح، وظلت مستقلة بجبلها وقد تعددت الحروب بينها وبين الدولة الرستمية منذ

انفصالها إلى عهد الإمام أبي اليقظان، وفي عهده اقتحمت تيهرت ونصبت ابن مسألة أميراً عليها، وظل يدير شؤون تيهرت في غياب إمامها الشرعي طيلة سبع سنوات، ولم يتمكن أبو اليقظان من دخول تيهرت إلا بعد أن أنجده نفوسة.⁽⁵³⁾ وفي أعلى جبل هواره قلعتهم (تاسقذالت) التي اختطها كبيرهم محمد ابن اسحاق⁽⁵⁴⁾. ويبدو أن الاضطهاد الذي لحق بسكان هذا الجبل من طرف دولة بني عبد الواد، اضطر الكثير منهم إلى الرحيل والهجرة إلى جهات آمنة، ولربما إلى المغرب الأقصى، وخف بذلك كما قال ابن خلدون "ساكنوا هذا الجبل" وقلعتهم الآن تسمى قلعة بني راشد وقد دكها زلزال العاشر من أكتوبر عام 1980م ومن آثارهم بهذا الجبل غار مسراطة.

4- برج الغدير:

حيث ينبع نهر سهر الذي يشق مدينة المسيلة، وعلى السلسلة الجبلية التي تمتد شمال الحضنة وبمكان يسمى غدير وارو (برج الغدير حالياً) جنوب برج بوعريرج سكانه من بني يغمراسن الكملانيين إحدى فروع قبيلة هواره وقد كانوا إلى سنة 325هـ أقوياء بعددهم البالغ 60 ألف نسمة وخاضعين للدولة الفاطمية، وبعد عودة أبي عبد الله الشيعي من المغرب في السنة نفسها نقلهم بالجملة إلى سهل القيروان، خوفاً من أن يثوروا عليه، وأثناء فتح القيروان انضم بنو كملان إلى أبي يزيد وكانوا من أخلص جنوده ضد الدولة الفاطمية فسطا بهم إسماعيل المنصور حتى قطع ذكرهم⁽⁵⁵⁾.

5- الهقار:

هم من هكارة أحد فروع القبيلة ، وإليهم ينسب هذا الجبل ، وصلته هكارة في تاريخ غير معروف بالضبط ، واستقرت بجوار لمطة من المثلثين ، ويمكن أن يكون لوصولها إلى هذا الإقليم علاقة بالهزيمة التي منيت بها هواره أوراس على يد الأمير الفاطمي المعز سنة 342هـ وتشنتها إثر هذه الثورة بدليل وجود ثنية بغرب الأوراس يطلق عليها ثنية هكار⁽⁵⁶⁾ .

ومن مواطنها بالمغرب الأوسط أيضا بجاية وقسنطينة وقد كانت من أهم مواطنها مع كتامة وعجيسة ثم تغيرت أحوالها بعد قدوم بني هلال وأضحت المنطقة ديار للعرب إلا ممتنع الجبال.⁽⁵⁷⁾

- بين القالة وعنابة يعرفون إلى حد الآن ببني ورجين أحد فروع قبيلة هواره⁽⁵⁸⁾ .

- سهل منداس على الضفة اليمنى لوادي مينة كانت تسكنه فرع من منداس أحد بطون القبيلة ومنها أخذت هذه التسمية وما تزال قرية تحمل هذا الاسم (منداس) جنوب شرق غليزان⁽⁵⁹⁾ .

- ناحية الأصنام وشرشال من قبيلة زكارة وإليهم ينسب جبل زكار المعدني⁽⁶⁰⁾ ، في جبال الونشريس⁽⁶¹⁾ . جبل عجيسة انتقلوا إليه من المسيلة مع بني برزال⁽⁶²⁾ ، ومن آثارها بشمال شرق البلاد جبل هواره بقالة كان لهم ، وبه قلعتهم التي أصبحت تعرف الآن بقلعة بوصبع على الطريق الرابط بين قالة وعنابة

- الزاب: استقرت به بعض فروع هواره حوالي سنة 342هـ على إثر الضغط المسلط من طرف الأمير الفاطمي المعز على هواره الاباضية بجبل أوراس، وقد ذكرت بهذا الإقليم في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، ولا تزال إلى ذلك التاريخ وفيه للمذهب الاباضي، وحسب بعض المصادر فإن بعض عناصرها قد دخلت من الزاب إلى وادي سوف ووادي ريغ⁽⁶³⁾.

المغرب الأقصى:

لا أحد يستطيع أن يحدد بالضبط تاريخ وصول هواره إلى هذا البلد، ومع ذلك يمكن - حسب بعض آثارها - أن نحدد وصولها إلى هذا البلد بالقرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد انتشرت هواره في مختلف أنحاء البلد، ولا تزال تعيش بها إلى وقتنا هذا، ومن الجائز جدا أن تكون بذورها الأولى قد نزلت إلى هذا البلد من إفريقيا و المغرب الأوسط رفقة القائد البربري طارق بن زياد⁽⁶⁴⁾.

ومواطنها بالمغرب هي:

- سهل تفرطة شرق المغرب الأقصى على الضفة اليمنى لنهر ملوثة العلوي، وعلى ضفته اليسرى على المجرى السفلي⁽⁶⁵⁾.

- الريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي كان يعيش بهذه المنطقة فرع من هواره يدعي بنو رزين⁽⁶⁶⁾.

- بين طنجة وسبتة وفي القرن 5هـ/ 11م قرية تحمل إسم هواره⁽⁶⁷⁾.

- داخل الريف وفي شرق المجرى العلوي لوادي ورغة كان يقيم فرع من هواره - ورغة - ومنه أخذ هذا الوادي تسميته⁽⁶⁸⁾.

- بجوار قبيلة دسول (أوتسول) ما يزال يعيش فرع من هواره الحجاز⁽⁶⁹⁾.

- مدينة مليلة الشهيرة أخذت تسميتها من أشهر فروع القبيلة: مليلة.

- مدينة زلول في القرن 5هـ / 11م كان يعيش بها فرع من هواره يدعى بنو زياد، وغير بعيد منها فرع آخر لهواره يدعى هواره الساحل⁽⁷⁰⁾.

- مدينة فاس: بهذه المدينة تعيش هواره مع القبائل البربرية الأخرى التي عمّرت فاس⁽⁷¹⁾.

- بلدة قرب فاس تحمل اسم فرع لهواره تدعى وشتاتة⁽⁷²⁾.

- تامسنا غرب المغرب احتلتها هواره مع زناتة في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي أثناء الزحف المريني، وإلى عهد ليون الإفريقي كانت هذه الإمارة تضم 260 مقاتل⁽⁷³⁾.

- على ضفتي المجرى السفلي لوادي سوس عدد معتبر من هواره يعيش إلى يومنا هذا⁽⁷⁴⁾.

- مدينة أغمات جنوب مراكش، إلى عهد الادريسي (549هـ/1154م) سكانها ينتمون إلى قبيلة هواره وتربطهم مع بلاد السود علاقات تجارية⁽⁷⁵⁾.

- سجلماسة: إلى عهد ليون الإفريقي كان يعيش بضواحيها مجموعة من هواره⁽⁷⁶⁾.

الأندلس:

فروع من هوارة قطعت وفي وقت مبكر البحر مع طارق بن زياد من المغرب الشمالي و استقرت في نواحي ذات المسالك الوعرة، الأمر الذي مكنهم من أن يتمتعوا باستقلال يكاد يكون تاما تجاه الأمراء الأمويين، وهذه الفروع هي:

- بنو زنون (أصلها بنو ذو النون ومع طول الزمن تغيرت وأصبحت زنون) وهي أسرة هوارية عاشت وسادت في إقليم شنطبرية وقد ثارت عام 158هـ/775م ضد الأمير الأموي عبد الرحمان الأول⁽⁷⁷⁾.

- بنو رزين: أسرة هوارية أيضا قدمت من شمال المغرب واحتلت سهلا يسمى سهلة بني رزين شرق شنطبرية، وقد كانت هذه الأسرة خلال القرن الأول من الحكم الأموي مغمورة، وبعد انهيار خلافة قرطبة أي حوالي منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، اكتسبت نوعا من الأهمية وأصبحت تحكم إمارة السهلة⁽⁷⁸⁾.

- بنو فرفرين: ولاية مدلين، بنو جهور الرشانيون: بنو القمراطي جيران ابن حزم، ومن آثار هوارة بالأندلس بلدة تسمى ساقية هوارة وتحمل الآن اسم أحد فروع القبيلة وهي مسلاتة⁽⁷⁹⁾.

صقلية:

لا أحد ينكر وجود هواره في هذه الجزيرة، فلقد شاركت في الغزو الأغلبي (هواره إفريقية) لهذه الجزيرة عام 212هـ/827م ومكثت بها طويلا، وحتى سنة 592هـ/1196م لا تزال هواره تعيش في عاصمة الجزيرة بالرم⁽⁸⁰⁾، ومن بين فروع هواره التي وجدت آثارها في صقلية في القرون الوسطى: مسراتة، مليلة، كركودة، أندرة، وقد ظلت وفية للمذهب الاباضي إلى غاية القرن 6 هـ/12م وأقامت علاقات مذهبية مع إخوانها في إفريقية الشمالية⁽⁸¹⁾.

في مصر والسودان:

كانت هواره من القبائل التي انتقلت إلى مصر بانتقال الفاطميين إليها، وكانت مواطنها لأول مرة بالبحيرة من الإسكندرية غربا إلى العقبة الكبيرة من برقة على شكل قبائل رحالة، ينتقلون في نواحي البحيرة مع من بها من القبائل العربية والبربرية⁽⁸²⁾، وظل الأمر على ذلك حتى أيام السلطان الظاهر برقوق، حيث غلبتهم على البحيرة زنارة وخلفاؤها فخرجوا منها إلى صعيد مصر، ونزلوا بالأعمال الاخميمية من جرجا وما حولها⁽⁸³⁾.

وقد عظم أمرهم فيها واشتد بأسهم، وتشعبت لهم هناك فروع لا سبيل لحصرها⁽⁸⁴⁾، منها بنو محمد، أولاد مأمّن، بندر، العرايا، الشلله، أشحوم، أولاد مؤمنين، الروابع البردكية، الروكة، البهاليل، الأصابغة، الدناجلة، المواسية، البلازد، الصوامع، السدادرة، الزيانية، الخيافشة، الطردة، الأهلة، أزلتين، أسلين، بنو

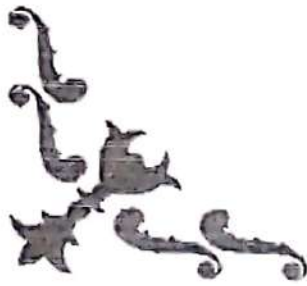
قمير، النية، التباغة، الغنائم، فزارة، العبابدة، صاورة، غلبان،
حديد، والسبعة⁽⁸⁵⁾.

وقد استمرت هذه الفروع في نمو مطرد حتى كان لأولاد همام منهم
في القرن الثامن عشر شوكة عظيمة في صعيد مصر وشمال السودان،
ولا تزال أسر منها إلى القرن العشرين في صعيد مصر تحمل أسماء
فروع قبائلها منها قرية أولاد مؤمنين في طما، والدناجلة والبلازد في
أبي تيج، والصوامع والغنائم وأشحوم في سوهاج والعبابدة في أسيوط
وساحل سيلين⁽⁸⁶⁾، ومن صعيد مصر نزحت طوائف من هواره إلى
أسوان ومنها إلى السودان، وهم في معظمهم بدو رحل، ينتقلون
بقطعانهم إلى الغرب ويرعون مع الكبابيش بين وادي الكاب إلى
حدود دارفور، ثم يعودون إلى الشرق في فصل الجفاف والأقلية منهم
تقيم بالقرب من الأبيض في كردفان حول خمي وأم دليكة⁽⁸⁷⁾،
وغيرها وهي من الفرع الذي يعرف بجلابة الهواره.



الفصل الثاني

أوضاعها



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني أوضاعها

1- الوضعية السياسية:

كانت هوارة من أكثر القبائل البربرية نشاطاً طيلة حكم الوندال وأوائل الحكم البيزنطي، وشكلت مع لواتة ما يشبه مملكة، إلا أن هذه الحالة لم تستمر حتى نهاية العصر البيزنطي، فقد أضعفتها الحروب آخر الأمر وأدركها الإسلام وهي على جانب كبير من الضعف والعياء ولم تبد أية مقاومة⁽¹⁾. إذ استطاع عمرو بن العاص أن يحرز عليها وعلى بقية القبائل من زواغة ونفوسة، نصراً سريعاً⁽²⁾. وظلت لفترة تزيد عن ثلاثين سنة ممراً للجيوش الإسلامية (الطريق الأعظم) ولم يذكر أحد من المؤرخين أي نشاط لها ضد المسلمين وبعد إمارة عقبة الثانية بدأت تتحرك ويذكر ابن خلدون أن القبائل البربرية كلها من طرابلس إلى طنجة ارتدت اثني عشرة مرة، ولم يستقر

إسلامها إلا في عهد موسى بن نصير، وفي عهده استقر الإسلام بالمغرب
(وأذعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الإسلام وتناشوا الردة⁽³⁾).

وكان ذلك في نهاية القرن الأول هجري، ومع بداية القرن الثاني
اعتنقت هذه القبيلة المذهب الخارجي بشكليه الاباضي والصفري
فكانت من أول القبائل التي ثارت في المغربين الأدنى والأوسط
فكانت عدة عبد الواحد بن يزيد الهواري في حروبه ضد حنظلة بن
صفوان مع عكاشة الفزاري التي انتهت بهزيمتهما وقتلهما سنة
124هـ⁽⁴⁾.

وبعدهما بايعت الحارث بن تليد الحضرمي إماما عليها سنة 130 هـ،
فاستقلت بطرابلس مدة ثلاث سنوات. إلا أن ولي الأمويين - عبد
الرحمن ابن حبيب - استطاع أن يفتال إمامهم الحارث ووزيره عبد
الجبار ويقضي على الإمامة سنة 132 هـ⁽⁵⁾.

وفي سنة 140 هجري أنشأت إمامة أبي الخطاب وضحت في سبيلها
بالدماء الغزيرة، واستقلت لمدة أربع سنوات. وكانت معركة تاورغة
التي قتل فيها أبو الخطاب نهاية لهذه الإمامة وكان ذلك سنة
144هـ⁽⁶⁾، ولما قامت الدولة الرستمية كانت من أهم القبائل التي لعبت
دورا هاما في حياتها. أما طرابلس فقد ظل تابعا لوالي أفريقيا حتى
سنة 196هـ، إذ ثارة على إبراهيم بن الأغلب، وحاصرت طرابلس
(وافتحته وخربته) بزعامه عياض بن وهب فأرسل إليها إبراهيم بن
الأغلب ابنه العباس فقاتلها وهزمها وبنى طرابلس، فاستغاثت بعبد
الوهاب بن رستم فزحف إليها من تيهرت ومعه قبائل نفوسة وحاصروا
أبا العباس وإثاء حصاره بلغه وفاة أبيه فصالحهم على أن تكون

المدينة داخل السور له، وخارجها إلى سرت لعبد الوهاب بن رستم. وظلت
هواره طرابلس تابعة للدولة الرستمية حتى سقوطها⁽⁷⁾.

ولما ثار أبو يزيد النكاري كانت هواره من اخلص جنوده (وفعلت
الأفاعيل) وكان من اشهر بطونها التي لعبت دورا بارزا في تلك
الحروب بنوكهلان (ولما هلك أبو يزيد..... سطا إسماعيل المنصور بهم
وأثخن فيهم، وانقطع ذكر بني كهلان...)⁽⁸⁾. إن هذا الدور الذي لعبته
- مشاركتها في الفتوحات الإسلامية وثورتها على الأمويين والعباسيين
ومن بعدهم الفاطميين قد أثرت على وضعيتها السياسية، وأصبحت
لذلك (في عداد القبائل الغارمة من كل ناحية...)⁽⁹⁾

2- الوضعية الاقتصادية:

تشير النصوص التاريخية إلى أن اقتصاد القبيلة كان يقوم على نوعين من النشاط: الفلاحة والتجارة.

• الفلاحة وتربية الحيوانات:

تعتبر من أهم الموارد الاقتصادية التي اعتمدت عليها القبيلة، سواء قبل الفتح الإسلامي أو بعده، وقد مارست هذه القبيلة الأسلوبين من النشاط معا، وإن كان الاعتماد على أسلوب دون آخر يختلف من منطقة إلى أخرى بحسب الظروف الطبيعية (المناخ وطبيعة الأرض)، فلقد مارست الفلاحة في سهول طرابلس الخصبة، ولا شك أن اهتمامها بها هو الذي دفعها مع غيرها من القبائل البربرية إلى الاستيلاء على المزارع والواحات الجرامانتية عندما مست بيزنطة أراضيها الساحلية وحاصرتها في الدواخل وحرمتها من أحد مواردها الاقتصادية⁽¹⁰⁾.

وقد مارست هذا النوع من النشاط الاقتصادي بعد الفتح الإسلامي، إلا أن الاعتماد الكبير كان قائما على تربية الحيوانات وإلى عهد ابن خلدون كانت الفلاحة تكاد تقتصر على مجريس سكان زنزور، بينما كانت باقي القبائل مثل ترهونة و ورفلة تعتمد على تربية الحيوانات⁽¹¹⁾. وتشتمل الزراعة بزّنزور على الأشجار المثمرة بأنواعها المختلفة وأهمها: الزيتون والنخيل والتفاح والرمّان والعنب والتين⁽¹²⁾. ولم تنس هذا النشاط في الجهات الكثيرة التي انتشرت بها، فلقد

استقرت جموع منها في المغرب الأوسط بجنوب تيهرت واشتغلت
بالزراعة واغتنت (ونالها من الكبر ما نال أهل المدينة)⁽¹³⁾.

وعلى نهر سهر في مدينة الغدير والمسيلة، وكان الإنتاج الزراعي
بمختلف أنواعه يزيد على كفايتهم وحاجتهم⁽¹⁴⁾. أما في مصر فإن
اهتمامها بالزراعة يرجع إلى نهاية القرن الثامن هجري، الرابع عشر
ميلادي وهي الفترة التي أنزلهم فيها الظاهر برقوق بمنطقة الصعيد
الأعلى، وأهم مزروعاتهم قصب السكر⁽¹⁵⁾. أما تربية الحيوان فهي
أقدم نشاط مارسه القبيلة وأوسع انتشارا، وتربية الحيوانات تشمل
الغنم والجمال والخيول. فالجمل أول منطقة عرفت في المغرب العربي
هي عاصمتهم (لبدة) في عهد سبتموس سافاروس وكان وسيلتها في
النقل، وقد لعب دورا هاما في اقتصاد القبيلة وفي حياتها السياسية، إذ
استخدمته في معركة مشهورة بين قابس وطرابلس⁽¹⁶⁾.

وأهم المناطق التي اشتهرت بتربية الحيوانات ترهونة و ورفلة في
طرابلس، وتلول افريقية وشمال السودان، وتبسة والأوراس. وما زالت
الحرفة الأساسية لهواوير السودان وتبسة، وحسب الإحصائيات التي
تعود إلى أوائل عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر فإن منطقة النمامشة
كانت تضم سبعة وعشرين ألف (27000) خيمة وتساهم بما يقدر
بـ 3000 رأس من الغنم كلما توجهت المحلات الفصلية لها.⁽¹⁷⁾

• التجارة:

يعود اهتمامها بالتجارة واشتغالها بها إلى نهاية القرن الرابع الميلادي، وذلك اثر الحصار الذي شددته عليها بيزنطة في الداخل وحرمانها من الأراضي الساحلية الخصبة، الأمر الذي جعل حياتها الاقتصادية تتدهور، وقد دفعها ذلك هي وغيرها، من قبائل البربر إلى أن تهاجم جرمة وتتزعزع منها واحات الجفرة ووادي الشاطئ وزويلة وتستولي على الطرق التجارية عبر الصحراء⁽¹⁸⁾. ومنذ تلك الفترة بدأت في ممارسة التجارة باستعمال الجمل لنقل البضائع وكانت قوافلها تسلك طرقا تجارية معروفة آنذاك، تمتد من الساحل إلى بلاد السودان عبر جرمة وكانت مدينة الهقار قاعدة تجارية لها⁽¹⁹⁾. أما في الفترة التي تلت الفتوحات الإسلامية فلا شك أن نفوذها قد تقلص نتيجة للأوضاع السياسية التي عاشتها، ولم تمارس هذا اللون من النشاط إلا عند قيام الدولة الرستمية، وكانت من أكبر قبائل الدولة الرستمية التي تولت التجارة إلى السودان، واستوت في ذلك هواره طرابلس وهواره تيهرت وهواره جبال الأوراس⁽²⁰⁾. ورغم أن التجارة في ذلك العهد كانت حرة، فإن الدولة الرستمية كانت قد أحاطتها بالاهتمام الكبير إذ كانت تمهد لهم الطرق وتقيم لهم الرباطات في مراحلهم وتحفر لهم الآبار وتقطع بهم المراحل الخطيرة في الصحراء الكبرى التي يقطعونها⁽²¹⁾. وكانت البضائع التي تنقلها إلى بلاد السودان تتكون من المنسوجات بأنواعها، والملح، والافاويه والعطور، والبخور، والأدوية المركبة، وأواني الزجاج، والفخار، والنحاس، والحلي الذهبية والفضية، والمصنوعات الحديدية، وأنواع الصبغة وغيرها. وكانت وارداتها من السودان: الذهب الخام والعاج، وريش النعام، وجلود

الحيوانات⁽²²⁾. أما في الفترة التالية لسقوط الدولة الرستمية فإن النصوص التاريخية لا تتحدث عن ممارسة هواره للتجارة بنفس الكيفية وذلك نتيجة للظروف التي ألمت بها في المغرب الأدنى والأوسط بصفة خاصة، اقتضت بعد ذلك على هواره المغرب الأقصى التي ازدهرت تجارتها في عهد المرابطين، وكانت في أحوالها وبضائعها في تلك الفترة شبيهة بأحوالها وبضائعها أيام الدولة الرستمية، وكانت في سر من العيش. وفي هذا النحو يقول الإدريسي: (وهواره أغنياء تجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطر الأموال... وما منهم من يسفر عبيده ورجاله إلا وله في قوافلهم المائتة جمل، والسبعون، والثمانون جملا كلها موقرة. ولم يكن في دولة الملثم - في القرن الخامس والسادس الهجري - أحد أكثر منهم أموالا ولا أوسع منهم أحوالا، وبأبواب منازلهم علامات تدل على مقادير أموالهم⁽²³⁾).

3 الوضعية الاجتماعية:

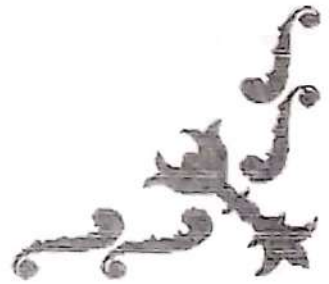
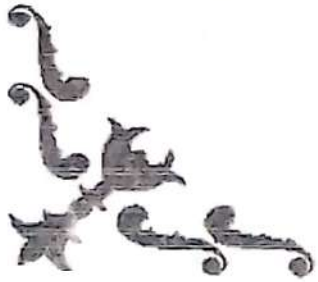
هواره من أشهر قبائل البربر، وأسبقها إلى اعتناق الإسلام والمشاركة في نشره وكانت محل إعجاب العرب الفاتحين، ولهذا لا عجب إذا حاول بعض المؤرخين العرب إلحاقها بالنسب العربي، إلا أنه بعد أن أفنتهم الحروب العديدة التي خاضوها ضد المسلمين (حروب الردة) وكخوارج ضد الأمويين والعباسيين والفاطميين في المغربين الأدنى والأوسط وتفرقهم، فإن مركزهم الاجتماعي قد تغير، وكان ذلك من أسباب تكرهم لنسبهم البربري.

ويلخص لنا ابن خلدون وضعيتهم هذه في قوله: (ثم جرت الدول عليهم أذيالها وأناخت بكلاكلها وأصبحوا في عداد القبائل الفارمة في كل ناحية)⁽²⁴⁾ وأكثر من هذا ينقله لنا التيجاني عن مجريس سكان زنزور تحت سيطرة المراغمة من الجواري في قوله: (...وقد تقاسمهم المراغمة من الجواري كل على حسب رتبته، واتخذوهم خدما لهم، وكانوا يتبايعونهم، فيباع الواحد من مجريس بأرضه ونسائه وأولاده بما يتفق عليه البائع والمشتري، ويكون المجريسي وأولاده خدما في أرضهم يزرعونها ويعطون الفلة للذي اشتراهم وهو ينفق عليهم كما ينفق على الخدم، وإذا لم ينصحوا في العمل باعهم لغيره،....)⁽²⁵⁾.



الفصل الثالث

ثوراتها على الأمويين



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل القرآن
مكتوباً

عالمنا

في يومنا

هذا

الفصل الثالث

ثوراتها على الأمويين

تمهيد:

إن الثورات التي قامت في بلاد المغرب، مع أوائل القرن الثاني الهجري، واستمرت حتى سقوط الدولة الرستمية، وقيام الدولة العُبيدية، مرتبطة أساسا باعتناق قبائلها لمذهب الخوارج، هذا المذهب الذي يعود الفضل في نشره ببلاد المغرب إلى حركة الدعاة، وعلى رأسهم سلمة بن سعيد وعكرمة مولى ابن عباس اللذان وصلا إلى المغرب أوائل القرن الثاني الهجري، وقد بلغ نشاطهما وحماسهما ورغبتهما في نشر هذا المذهب حد المغامرة (وددت لو يظهر هذا الأمر ولا أبالي بعد هذا أن تضرب عنقي) وقد كان من نتائج هذا النشاط أن انتشر مذهبهما وتغلغل بين القبائل البربرية ولا سيما منها هواره، زناته، ونقوسة، ومطغرة، ونفزاوة وغيرها. ومن نتائج انتشار هذا المذهب ببلاد المغرب، تمكين رجاله من فهم الإسلام على حقيقته

وعلى هذا فإن ثوراتهم بعد ذلك إنما كانت رد فعل للانحراف(الذي أضحى عليه ولاية بني أمية) ومحاولة جادة لتصحيح بعض أوضاع المسلمين الشاذة والعودة بالدين إلى بساطته وروحه الأولى⁽¹⁾. وقد كانت ثورة ميسرة المطغري في المغرب الأقصى بداية لهذه الثورات، وبعد نجاحها هناك امتدت لتشمل إفريقية والمغرب الأدنى، وكانت الزعامة فيها خصوصاً مع العهد الأموي، دائماً لقبيلة هواة.

1- ثورة إفريقية:

لقد انتشر المذهب الصفري في شمال وجنوب إفريقية، وأصبحت هذه المناطق معبأة وشديدة الحنق والغضب على ولاية بني أمية، شأنها في ذلك شأن صفرية المغرب الأقصى، إلا أن وجود مقر الإمارة بإفريقية ووقوعها تحت الإدارة المباشرة لواليها عبد الله بن الحبحاب، جعلها تتردد في إعلان ثورتها.

وبعد نجاح ثورة المغرب الأقصى وخروج والي إفريقية الجديد، كلثوم بن عياض القشيري من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك، لنجدة الموقف هناك، انتهزت صفرية أفريقية هذه الفرصة الثمينة وثارت ثورتها العارمة سنة 123هـ. وقد تزعمت هذه الثورة قبيلة هواة⁽²⁾، ومن حالفها من القبائل البربرية كزناتة، ونفزاوة.

بداية الثورة:

بعد خروج كلثوم بن عياض القشيري بجيوشه الجرارة من إفريقية لمواجهة صفرية المغرب الأقصى، ثار عكاشة بضواحي قابس، علي مسلمة بن سودة القرشي متزعما بربر هواره، وأرسل أخاه إلى صبره ليستمد العون من زناته وغيرها من البربر هناك. فتكون له منها جيش كبير هجم به على مدينة صبرة، وكان بها حبيب بن ميمون (عامل كلثوم) فحاصر سوقها ودارة الإمارة بها⁽³⁾. وكان من المتوقع بعد حصار صبرة أن يواصل زحفه إلى إفريقية ليشارك أخاه عكاشة في حصار القيروان، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، لقد بلغ الخبر صفوان بن مالك (عامل كلثوم على طرابلس) فهب لإنقاذ الموقف، فتمكن من هزيمة أخي عكاشة وقتل أصحابه من زناته وهواره وغيرهم، وحال بذلك دون انضمام صفرية زناته إلى صفرية هواره بقيادة عكاشة لمحاصرة القيروان⁽⁴⁾.

كان كلثوم بن عياض قبل أن يسير إلى المغرب الأقصى يتوقع ثورة إفريقية، لذلك ولى على إدارة القيروان عبد الرحمان بن عقبة الغفاري، وعلى حربها مسلمة بن سودة القرشي وقد تشجع مسلمة بعد حصار صبرة، فخرج في أهل القيروان لملاقاة عكاشة بن أيوب بقابس، وكان عكاشة قد تقوى جمعه، فاستعد للمعركة، وقد التقى الفريقان، ووقعت بينهما حرب هزم فيها مسلمة بن سودة وقتل جميع من خرج معه من أصحابه، وفر إلى القيروان، وتحصن بها، وكان ذلك سببا في ثورة جنده عليه وعزله من قبل عبد الرحمان بن عقبة الغفاري وتعيين بدله على رأس الجيش سعيد بن بجرة الفساني⁽⁵⁾.

وكان كلثوم بن عياض حين صعب عليه الموقف في المغرب الأقصى، كتب إلى عامله على طرابلس، صفوان بن أبي مالك، يطلب نجده، فخرج إليه هذا الأخير، بأهل طرابلس، وعند وصوله إلى قابس، بلغته أخبار هزيمة كلثوم، وتفرق جيوشه، فعاد إلى طرابلس⁽⁶⁾. وقد شجع هذا الزحف سعيد بن بجرة الفساني ومن تحصن معه من أصحاب مسلمة بن سودة بالقيروان، فخرج لملاقاة عكاشة الذي كان يربط بقابس، ولكن عكاشة فوت عليه الفرصة، إذ علم أنه لا طاقة له لمواجهة جيوش الأمويين وجها لوجه، فخرج إلى مكان على اثني عشر ميلا من قابس يدعى الحمه حيث الجبال والغابات، ليشن ما يسمى بحرب العصابات⁽⁷⁾.

وصل سعيد بن بجرة الفساني قابس، فوجد صفوان بن أبي مالك قد عاد إلى طرابلس، وعكاشة قد تنحى عن قابس قليلا، فبات في خوف شديد من هجوم عكاشة عليه وهو في طريق العودة إلى القيروان، وقد اضطر لذلك أن يتحصن بمدينة قابس، وظل محاصرا بها، حتى أنجده عبد الرحمن بن عقبة بجيش سار به هو نفسه، فالتقيا بعكاشة بين قابس والقيروان فوقعت بينهم حرب عنيفة، انتصر فيه جيش عبد الرحمان بن عقبة، وانهزم عكاشة وقتل جميع من معه من أصحابه، فاعتصم بالجبال والغابات ليستعد لجولة أخرى⁽⁸⁾.

ولاية حنظلة بن صفوان ومهمة القضاء على ثورة إفريقية:

جاء حنظلة بن صفوان، واليا على إفريقية، وهو مصمم على إنهاء ثورة إفريقية مهما كلفه ذلك من ثمن، وفور وصوله أرسل إلى عكاشة- الذي جمع قوات جديدة من قابس، واستعد لجولة أخرى- حملة بقيادة عبد الرحمان بن عقبة الغفاري، فالتقيا بضواحي قابس، ف وقعت حرب عنيفة بينهما انتصر فيها عبد الرحمن بن عقبة وهزم عكاشة مرة أخرى، وقد حاول أن يعيد الكرة بعد هذه الهزيمة مرتين، إلا أن تصميم حنظلة على إنهاء الثورة وإعداده لها عدتها، حالت دون إحراز عكاشة على أي نصر يذكر⁽⁹⁾.

استعانة عكاشة بعبد الواحد:

بعد هذه الهزائم المتوالية، علم عكاشة أنه لا يستطيع التغلب على عبد الرحمان بن عقبة ومواجهة جيوشه وحده، فاتصل بعبد الواحد بن يزيد الهواري، فاستجد به ودعاه إلى الانضمام إليه، فتوجه إليه عبد الواحد في جيش من الصفرية، فالتقيا بعبد الرحمن بن عقبة الغفاري، فهزماء وقتلاه ومن معه من أصحابه وكان ذلك سنة 124هـ⁽¹⁰⁾.

استنجد عبد الواحد بصفريّة المغرب الأوسط والأقصى:

لم تفر هذه الانتصارات المؤقتة، القائدين البربريين، لأنهما يدركان جيدا قوة حنظلة وإصراره العجيب على المحافظة على إفريقية والقضاء على ثوراتها، إذ علما أنهما لا يستطيعان الصمود أمامه إلا بجيوش جرارة، فعزما على التوجه إلى المغرب الأوسط للاستنجد بصفريتهما وعبثاً حاول حنظلة إفساد جهودهما في لمّ شمل الصفريّة هناك، فلقد بعث برسالة إلى صفريّة المغرب الأقصى و الأوسط، يأمرهم بالتزام الطاعة، ويشنّ عزمهم عن مؤازرة عكاشة وعبد الواحد⁽¹¹⁾.

انضمت طوائف كبيرة من الصفريّة اليهما من المغرب الأوسط، ومعها أميرها أبو قره اليفرني الزناتي، ومن المغرب الأقصى، فتقوى جيشهما، وسارا به إلى القيروان⁽¹²⁾.

زحف عكاشة وعبد الواحد إلى حنظلة:

سار عبد الواحد وعكاشة في جيشين كبيرين، فلما وصلا الزاب، اتفقا على خطة عسكرية محكمة للغاية، تقضي بتطويق حنظلة في القيروان، وعلى هذا الأساس أخذ كل منهما طريقه الخاص. فبينما سلك عكاشة طريقا سهلا شمال الأوراس يمر بمجانة، سلك عبد الواحد طريقا جبليا يمر بقسنطينة فباجه ليحتل شمال إفريقية، ثم يزحف جنوبا ليلتقي بجيوش عكاشة لمحاصرة القيروان⁽¹³⁾.

إنها خطة محكمة تدل على الدهاء وبعد النظر، إلا أن القائدين الصفريين لم يلتزما بما اتفقا عليه في الزاب، فهب كل منهما مسرعا

إلى القيروان، ومن جهته رسم حنظلة خطته على أساس إحباط مصاعي
الرجلين في التعاون بينهما، فهب مسرعا للقاء كل منهما على
إنفراد⁽¹⁴⁾.

وقعة القرن:

تقدم عكاشة بجيوشه حتى نزل بالقرن قريبا من القيروان،
ويذكر دبوز أن ما جعل عكاشة، يسبق زميله إلى القيروان هو ما
يلاقيه عبد الواحد وهو في طريقه إلى شمال تونس من إقبال البربر
عليه، وتعظيمهم له، وأن عبد الواحد إذا احتل معه القيروان، سينسب
الفضل في ذلك إليه. لذلك سولت له نفسه أن يسبق عبد الواحد ويحوز
شرف القضاء على الأمويين، فبإيعاه البربر، ولا يكون لعبد الواحد
إلا الرضوخ أمام الأمر الواقع⁽¹⁵⁾.

وأرى أن اعتزاز كل منهما بقوته التي جمعها، هي التي جعلتهما
يسرعان إلى القيروان، وأن الطريق الذي سلكه عكاشة كما تقدم،
كان سببا في وصوله إلى القيروان قبل عبد الواحد، وقد كان عليه
أن ينتظر عبد الواحد للإطباق على القيروان، ولكن لم يفعل، ويظهر
أن حنظلة لم يمهله، فقد أعد كل ما استطاع من جند وسلاح، وانفق
في ذلك أموالا كثيرة فسار إلى عكاشة بالقرن، فالتقى الفريقان،
ووقعت بينهما معركة كبيرة سقط فيها قتلى كثيرون من كلا
الطرفين، فانهزم عكاشة، وحاول الفرار، لكن حنظلة أرسل وراءه
من أتى به فقتله، ففرح بهذا الظفر فرحا لا مثيل له⁽¹⁶⁾.

زحف عبد الواحد ومعركة باجة:

بعد هزيمة عكاشة، أرسل حنظلة بن صفوان قوة كبيرة من جيشه، بلغ عددها أربعين ألفا إلى عبد الواحد لتحول بينه وبين احتلال شمال إفريقية، ولكن عبد الواحد كان قد عزز جنده بمن انضم إليه وهو في طريقه إلى القيروان، وما أن وصل باجة حتى وافته بها جيوش حنظلة التي أرسلها إليه لتمنعه من احتلال شمال إفريقية، وتعرقله عن السير إلى القيروان⁽¹⁷⁾. فوقعت بينهما معركة دامت كما تذكر بعض النصوص التاريخية شهرا، انتهت بانتصار عبد الواحد وهزيمة جيوش حنظلة، وقتل ما يناهز عشرين ألفا⁽¹⁸⁾. وبهزيمة باجة أصبح الموقف بالنسبة لحنظلة خطيرا للغاية، لقد بات مؤكدا لديه أنه بعد هذه الهزيمة سوف لا تتوقف جيوش عبد الواحد عند باجة، بل ستسير إلى القيروان لتحتله، ويقضي بذلك على الدولة الأموية في المغرب، لذلك عول على أن يستमित في الدفاع عن القيروان مهما كلفه ذلك من ثمن.

احتلال تونس ومبايعة عبد الواحد بالإمامة:

بعد هزيمة جيوش حنظلة في باجة، قصد عبد الواحد بن يزيد الهواري، مدينة تونس فاحتلها⁽¹⁹⁾. وعظم بذلك مركز عبد الواحد وتوافدت عليه جموع كبيرة من البربر فبايعوه إماما عليهم⁽²⁰⁾. يقودهم في ثورتهم، فسار بهذه القوة جنوبا، يريد القيروان.

وقعة الأصنام:

نزل عبد الواحد بمكان يعرف بالأصنام على بعد ثلاثة أميال من القيروان، قال ابن عبد الحكم (فكتب إلى حنظلة أن يخلي له القيروان ومن فيه فاسقط في أيديهم، وظنوا أنهم سيُسبون حتى أن كان حنظلة ليبعث الرسول منهم ليأتيه بخبر عبد الواحد، فما يخرج إلى مسيرة ثلاثة أميال إلا بخمسين ديناراً)⁽²¹⁾. أما حنظلة فقد غلق أبواب القيروان، وشدد الحراسة عليها "فأخرج جميع ما في الخزائن من السلاح، ونادى في الناس، فكان يعطي لكل منهم درعا وخمسين ديناراً، فلم يزل يفعل ذلك حتى كثر عليه الناس، فرد العطاء إلى أربعين ثم إلى ثلاثين"⁽²²⁾.

زيادة عن هذا الاستعداد المادي، فقد أعد حنظلة جميع من في القيروان نفسياً، حيث أذكى فيهم روح الحماس والتضحية، لقتال الفئة الخارجة، وقد بلغ من شدة الحماس الذي زرعه في نفوس الناس، أن كسّر المحاربون أجفان سيوفهم، قال النويري: "وكسّر جنود حنظلة أجفان سيوفهم، والتقوا واقتتلوا ولزم الرجال الأرض، وجثوا على الركب، فانكسرت ميسرة حنظلة وميسرة عبد الواحد، ثم كرّت ميسرة حنظلة على ميمنة عبد الواحد، واشتد القتال وصمم جنود حنظلة على النصر فكان لهم، فانهزم جيش عبد الواحد، أما هو فقاتل حتى قتل في المعركة، ففرح حنظلة بالظفر... وخر لله ساجدا لما أوتى برأس عبد الواحد فوضع أمامه"⁽²³⁾.

وفي الحال أرسل الخبر إلى هشام بن عبد الملك، يعلمه بالظفر الكبير، في أكبر معركة خاضها المسلمون، وعلى شخص عنيد هو عبد الواحد وكانت هذه المعركة مع عبد الواحد، ومعركة القرن مع

عكاشة من أكبر المعارك التي خاضها الأمويون في المغرب، وقد بلغ عدد القتلى فيها حسب ما تشير النصوص التاريخية 180 ألف قتيل وعنهما قال الليث بن سعد "ما غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلي من غزوة القرن والأصنام"⁽²⁴⁾.

لم تقم للصفرية بعد هذه الهزائم قائمة في إفريقية، فلقد لجأ بعض قادتهم إلى قبيلة برغواطة في منطقة تامسنا بالمغرب الأقصى، مثل طريف بن مالك، كما لجأ فريق آخر إلى الصحراء، وعمل على نشر دعوته في منطقة نفزاوة، وقد أثمرت هذه الدعوة، حيث تمكنت ورفجومة وهي إحدى بطون نفزة من السيطرة على القيروان فترة استُحلت خلالها فيها المحارم، وهتكت الأعراض، وتدنيس المقدسات الدينية، فكان لذلك زحف أبي الخطاب على القيروان وتحريره لها⁽²⁵⁾.

2 ثورة المغرب الأدنى:

غلب المذهب الاباضي على بلاد المغرب الأدنى، فاعتنقته قبائله، وخاصة نفوسة وهوارة هاتان القبيلتان اللتان كانتا تقيمان حول طرابلس واعتناقهما لهذا المذهب جاء متأخرا نسبيا ولهذا فإنه في الوقت الذي يخوض فيه الخوارج الصفرية معارك عنيفة ضد المسلمين في المغرب الأقصى وإفريقية، كان المغرب الأدنى ساكنا هادئا يعمل في صمت من أجل نشر المذهب الاباضي ولم يخرج اباضيته عن ذلك، إلا مع أواخر العشرينات من القرن الثاني الهجري، أي في الوقت الذي نجحت فيه الحركة الصفرية في المغرب الأقصى، واستولى عبد الرحمن بن حبيب على إفريقية.

إذن لقد أغرى هذا الانتصار اباضية المغرب الأدنى، فثاروا على ولاية بني أمية قبل أن يتهيؤوا لذلك، ولهذا فإن هذه الثورات كما سيأتي الحديث عنها، لم تسفر عن شيء سوى عن إضعاف الحركة وتأجيل ظهور الاباضية على المسرح السياسي في بلاد المغرب، أي حتى قيام ثورة أبي الخطاب سنة 140هـ (757م). وقد كانت الزعامة في كل الثورات التي خاضها الاباضية لهوارة، فقد تصدرتها دون منازع من البداية حتى النهاية.⁽²⁶⁾ فحركة عبد الله بن مسعود التجيبي سنة 126هـ (744م) وثورة الحارث وعبد الجبار التي استمرت حتى عام 131هـ (749م) كانتا حكرا على اباضية هوارة في أحواز طرابلس.

بينما تزعمت نفوسة الحركة التالية بزعامة إسماعيل بن زياد النفوسي سنة 132هـ، ولا نجد لزناة ذكرا إلا في حركة أبي الخطاب المعافري سنة 146هـ (757م) وهي حركة كانت هوارة مركز ثقلها،

بينما لعبت زناتة فيها دورا غير مشرف. وثورة الاباضية العظمى التي قام بها أبو حاتم المزوزي، كانت ثورة هواره أيضا، فكان أبو حاتم نفسه من مليلة، وهي بطن من بطونها، وظلت هواره وحدها قائدة للحركات الاباضية التي قامت في سنتي 156هـ (773م) و180هـ (696م) في المغرب الأدنى⁽²⁷⁾. والذي يهمنا في هذا الفصل هو تلك الثورات التي خاضها الاباضية ضد ولادة بني أمية وهذه الثورات ثلاث هي:

- ثورة 126هـ (744م)

كانت هذه الثورة كما سبق القول من نصيب قبيلة هواره، فلقد بايعت أحد زعماء المذهب ويدعى عبد الله بن مسعود التجيبي، فبدأ نشاطه كإمام دفاع، وقد سمع الياس بن حبيب (والي عبد الرحمان بن حبيب) بنشاطه، فألقى عليه القبض، وضرب عنقه، وبذلك أخدمت هذه الثورة وبكل سهوله. وقد استاء أتباع التجيبي من هواره وغيرهم لهذا العمل، وطالبوا عبد الرحمان بن حبيب بقتل أخيه الياس، قصاصا لعبد الله بن مسعود التجيبي، لكنه أبى عن ذلك واكتفى بأن أقال أخاه وأبعده عن شؤون طرابلس. وولى مكانه حميد بن عبد الله العكي⁽²⁸⁾.

إن هذا العمل لم يرض الاباضية، ولم يهدئ من ثورة نفوسهم وأخذوا يعدون للثورة والانتقام من الياس أخي عبد الرحمان.

- ثورة 130هـ -

كانت أيضا من نصيب قبيلة هواره، فلقد أجمعت على مبايعة اثنين من زعمائها وهما الحارث بن تليد الحضرمي وعبد الجبار بن قيس المرادي، الأول إماما، والثاني قاضيا ومشيرا، وقادا، ثورتهما ضد ولاية بني أمية من الفهرين. وكانت بداية هذه الثورة، حصار والي طرابلس حميد ابن عبد الله العكي في إحدى قرى طرابلس، ولقد طال أمد الحصار، ووقع الوباء في أصحاب حميد فطلبوا الأمان من المحاصرين، فأمنوهم، فلما خرجوا أخذ عبد الجبار بن قيس المرادي، أحد أتباع حميد ويدعى نصير بن راشد فقتله في عبد الله بن مسعود التجيبي⁽²⁹⁾. وكان حميد بن عبد الله العكي، حين خرج لقتال عبد الجبار، قد أناب عنه في القيام بشؤون طرابلس بكر بن عيسى.

وبعد الذي حصل لحميد العكي خرج إلى المحاربين يدعوهم إلى التفاوض وإقامة صلح بينهما، لكنهم أبوا فقتلوه وظلوا على ثورتهم إلى أن استولوا - بقيادة عبد الجبار - على كل البلاد، ماعدا المدينة داخل السور⁽³⁰⁾.

أما عامل عبد الرحمان بن حبيب - حميد بن عبد الله العكي - فقد ألقى القبض عليه وسجن، ثم أطلق سراحه، وطرد من المنطقة، وعين عبد الرحمان بدله يزيد بن صفوان العافري⁽³¹⁾.

وقد فشل عبد الرحمان بن حبيب في استرداد طرابلس، ولجأ إلى حيلة، حيث استمال أحد شيوخ هواره، ويدعى مجاهد بن مسلم الهواري، فأرسله إلى هواره ليردها عن عزمها ويقطعها عن عبد الجبار

الحضرمي، فأقام بينها شهرا دون جدوى، فقد طردته هواره، ورجع إلى يزيد بن صفوان العافري بطرابلس⁽³²⁾.

ولما لم يجد ذلك نفعا أعد عبد الرحمن بن حبيب حملة تحت أبرع قائد له وهو محمد ابن مفروق، وأرسلها إلى طرابلس، وكتب إلى عامله، يزيد بن صفوان العافري، أن يخرج معه لقتال الثائرين، فالتق المتحاربون بأرض هواره، ودارت الدائرة على جيوش عبد الرحمان، فقتل يزيد بن صفوان ومحمد بن مفروق، ولاذ مجاهد بن مسلم بالفرار⁽³³⁾.

أما عبد الرحمان بن حبيب الذي كان يتربص الأحداث، من ضواحي قابس، فبعد أن حلت الهزيمة بجيشه، وقتل قائده محمد بن مفروق، وواليه على طرابلس، يزيد بن صفوان العافري، قفل راجعا إلى القيروان، وأعد حملة أخرى، أرسلها تحت قيادة عمرو بن عثمان، فزحف بها إلى عبد الجبار والحارث، فلقيهما في أرض زناته، فدارت الدائرة مرة أخرى على جيش عبد الرحمان، فانهزم عمرو بن عثمان وأصحابه، واستولى الحارث وعبد الجبار على طرابلس كلها⁽³⁴⁾.

أما عمرو بن عثمان فقد توجه إلى دغوغا ومعه مجاهد بن مسلم الهواري، وفي أثره جيوش الحارث التي اضطرتته إلى التوجه منها إلى الصحراء، وهناك أدركته، وأرغمته ثانية على التقدم نحو سرت، حيث دارت الدائرة على جيشه، فقتل منها جماعة وأسرت أخرى، ونجا هو على فرسه جريحا⁽³⁵⁾.

وبعد هذه الهزائم المتوالية عزم عبد الرحمان على الخروج بنفسه وقاد جيشا لاسترداد طرابلس، وصل به حتى قابس، وهناك علم بتآمر

القيروانيين على خلعه، فهب مسرعا عائدا إليها وفي هذه الظروف الصعبة حدث حادث مفاجئ انتهى إلى مقتل الحارث وعبد الجبار سنة 131هـ (749م) كفى ابن حبيب مؤنة قتالهما⁽³⁶⁾.

وتختلف المصادر التاريخية حول حقيقة الحادث وأسبابه، فترى بعض المصادر، وخصوصا الاباضية منها، بأن مقتل الإمامين إنما تم بدسيسة من عبد الرحمان بن حبيب، الذي بعث جماعة من أصحابه، فاغتالوا الإمامين، وأنه بعد ذلك دس جماعة أخرى لتقتنع الاباضية بأن الإمامين، إنما اختلفا حول مسألة فقهية، فاحتكما إلى السيف، وقتل كل منهما صاحبه. بينما ترى المصادر الأخرى أن الإمامين اختلفا حول مسألة فقهية فاحتكما إلى السيف فقتل كل منهما صاحبه.

ومهما يكن من أمر، فإن هذا الحادث خلق مسألة كلامية دامت فترة طويلة، أحدثت الشقاق في صفوف الاباضية، فأمسوا على غير الاتحاد والقوة التي كانوا عليها، ولم يكفوا عن ذكرها إلا عندما تولى أبو الخطاب إمامتهم سنة 140هـ.

وبعد مقتل الحارث وعبد الجبار بايعت نفوسه إسماعيل بن زياد النفوسي إماما عليها، لكن عبد الرحمان بن حبيب عاجله فقضى عليه وعلى ثورته في مهدها⁽³⁷⁾.

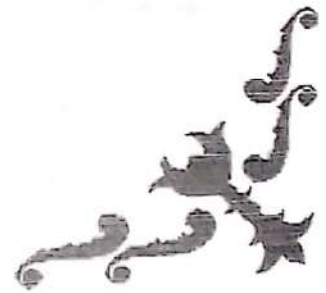
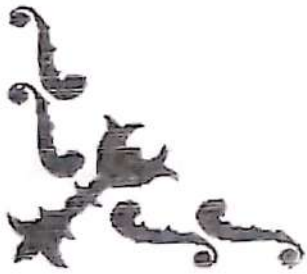
لم يقض على ثورات الاباضية إلا مؤقتا، ذلك إنه بعد الذي حل بهم، انصرفوا إلى العمل السري يعدون للثورة ولا شك أن ذلك هو ما دفع برؤساء المذهب منهم إلى الرحيل إلى البصرة للاسترشاد بمشايع المذهب في الإعداد للثورة المنظمة الشاملة، وبعد خمس سنوات قضاهما الوفد بصحبة أبي عبيدة بن مسلم بن أبي كريمة، وجماعة شيوخ

المذهب، عاد حملة العلم الخمسة إلى بلاد المغرب، وفور عودتهم سنة 140هـ (757م) شرعوا في الاتصال برؤساء القبائل لتهيئة الثورة، وقد كالت مساعيهم بالنجاح، وبويع أبو الخطاب - وهو الذي أشار أبو عبيدة، بتقلده لزعامة الحركة - بالإمامة⁽³⁸⁾.



الفصل الرابع

ثوراتها على الصّباحيين





الفصل الرابع

ثوراتها على العباسيين

أ. أثناء حركة أبي الخطاب (140هـ - 144هـ)

- نسبه:

هو عبد الأعلى بن عبد الرحمان بن السمع المعاري في اليمني، كنيته أبو الخطاب من طلبة العلم الخمسة الذين أخذوا المذهب الاباضي عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالبصرة.

وبعد خمس سنوات من الدراسة والتفقه على شيوخ المذهب، عاد مع الأربعة الآخرين وهم:

عاصم السدراتي، إسماعيل بن درار المنداسي، داود القبلي النفزاوي، وعبد الرحمان بن رستم. وقد أظهر خلال دراسته مقدرة

ونشاطا زائدا مما جعل أبو عبيدة يرشحه لزعامة الاباضية إذا ما قدر لهم الظهور.

عاد الوفد إلى بلاد المغرب، وشرع طلبة العلم الخمسة في مهمتهم، وتركزت دعوتهم ونشاطهم السري في طرابلس لأنها أليق مكان، فهي التي احتضنت المذهب الاباضي قبل غيرها من المناطق، كما أنها هي التي عرفت أعمال العنف ضد ولاية بني أمية، وكانت مسرحا لها وما تزال مستعدة للانفجار، وأهلها تواقين إلى إنشاء دولتهم من جديد، لهذا رابط فيها طلبة العلم الخمسة وخاصة منهم أبو الخطاب، وعبد الرحمان بن رستم، وقد التف حولهما الاباضية على اختلاف نتائجهم وطباقتهم وكان أكثرهم من هواره ولماية ونفزاوة ومقراوة وزناطة⁽¹⁾.

- مبايعته:

بعد أن أنس اباضية طرابلس من أنفسهم القوة، أخذوا يعملون على إعلان إمامة الظهور، وقد وقع اختيارهم على بلدة صياد، فكانوا يعقدون بها جلساتهم التشاورية وفي آخر اجتماع لهم اتعدوا ليوم معلوم يجتمعون فيه فيأتي كل منهم من خلفه من أتباعه ويظهر أن اجتماعهم بسبب أرض أرادوا قسمتها، وقيل بسبب رجل وامرأة اختصما ويجعلون عدتهم في غرائر مملوءة تينا⁽²⁾.

وفي اليوم المعلوم التقى زعماء طرابلس ومعهم أتباعهم، فاتفقوا على مبايعة أي الخطاب، فبايعوه على أن يحكم بينهم بكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام، وقد قبلها أبو الخطاب بشرط ألا تذكر في

عسكر مسألة الحارث وعبد الجبار⁽³⁾ وكان هؤلاء الزعماء وأتباعهم
من هواره وطريشة ونفوسة⁽⁴⁾.

فتح طرابلس:

بعد أن تلت البيعة لأبي الخطاب رجع الخاصة إلى مدينة طرابلس
ووراءهم أتباعهم يسوقون الجمال المعبأة بأحمال التبن، فلما توسطوا
المدينة أناخوا بجمالهم وأخرجوا منها سلاحهم وصاحوا "لا حكم إلا
لله" وقد سمعها من بالمدينة من هواره وزناة فانضموا إلى أبي الخطاب
فكثر بذلك جنده واستطاع أن يحتل دار الولاية، وأهم النقاط في
المدينة ويلقي القبض على واليها عمر بن سويد المرادي، وبعد إلقاء
القبض عليه خيره أبو الخطاب بين البقاء في المدينة مكرما وبين
مغادرتها إلى المشرق، فاختر الرحيل وتمت بذلك السيطرة على
طرابلس كلها.

وبعد أن تمت السيطرة لأبي الخطاب على طرابلس شرع في تعيين
جهاز الدولة فعين على سرت عمر بن يمكتن اللواتي⁽⁵⁾.

توسعات أبي الخطاب:

وبعد هذه الترتيبات الإدارية، اتجهت أنظار أبي الخطاب إلى الخارج، فقصده جزيرة جربة وجبل دمر فافتتحهما في نفس العام كما فتح قابس وهو في طريقه إلى القيروان لنجدة أهلها من ظلم ورفجومه⁽⁶⁾.

نكبة القيروان برفجومه واستغاثتها بأبي الخطاب:

بعد مقتل حبيب بن عبد الرحمان، دخل عبد الملك بن أبي الجعد القيروان بقوات من الصفرية (وفعل كما كان يفعل عاصم): فاستباح المحرمات وهتك الأعراض وداس المقدسات الدينية فأرغم بهذه التصرفات أهل القيروان على هجرها⁽⁷⁾. واشتد البلاء عليهم وأرسلوا إلى أبي جعفر المنصور يستجدون به حسب بعض الروايات، وبأبي الخطاب المعافري إمام الاباضية بطرابلس استنادا إلى رواية أخرى. وأرى أنهم استجدوا بالاثنين في وقت واحد، لأنهم أضعوا صوابهم أمام المناكر التي ارتكبتها ورفجومه وفي حق المقدسات الدينية، وفقدوا ثقتهم فيها بعد أن كانوا قد طلبوا دخولها إلى القيروان. ويذكر دبوز: أن أهل القيروان أرسلوا وفدا إلى أبي الخطاب يشكون إليه ما حل بهم، ويستغيثون به، وقد يكون زميله عبد الرحمان بن رستم هو صاحب هذه الفكرة في وقت فقد فيه القيروانيون صوابهم. كما تلقى رسائل من أناس مظلومين.

قال أبو زكرياء: في كتابه سير الأئمة "بلغنا أن امرأة من نساء القيروان كتبت بطاقة إلى الإمام أبي الخطاب تشكو إليه جور ورفجومة تقول: أما بعد يا أمير المؤمنين فإن لي ابنة وقد بلغت في الخوف عليها من ورفجومة والحيطة لها أن حفرت حفرة تحت سريري وصننتها فيها خشية أن يفسدوها كما فعلوا بأمثالها، فانظر إلينا. فوصلت البطاقة أبا الخطاب وهو يتوضأ فقرأها وجعل يبكي رحمة لما نزل بها، فتأدى بالصلاة جامعة فدعى الناس إلى الجهاد⁽⁸⁾. ويذكر ابن الأثير: "أن رجلا من الاباضية دخل القيروان لحاجة له، فرأى ناسا من الورفجوميين قد أخذوا امرأة قهرا والناس ينظرون فأدخلوها الجامع فترك الاباضي حاجته، وقصد أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري فأعلمه بذلك فخرج أبو الخطاب وهو يقول: "بيتك اللهم بيتك"⁽⁹⁾.

فتح القيروان:

لقد أنكر أبو الخطاب هذا الفعل من ورفجومة، وأنكرت معه سائر القوى من هواره وزناته فخرج بهما من طرابلس سنة 141هـ في ستة آلاف قاصدا القيروان⁽¹⁰⁾. وعلم بخروجه عبد الملك بن أبي الجعد فسير إليه جيشا لقتاله خارج القيروان، هزمه أبو الخطاب وسار إلى القيروان، فخرجت إليه ورفجومة واقتتلوا، وحمى الوطيس" فانهزم أهل القيروان الذين مع ورفجومة وخذلوه، فتبعتهم ورفجومة في الهزيمة، وكثر القتل فيهم، وقتل عبد الملك الورفجومي، وتبعهم أبو الخطاب يقتلهم حتى أسرف فيهم وعاد إلى طرابلس⁽¹¹⁾. وذلك في صفر في سنة 141هـ.

وبهزيمة الصفرية تصبح إفريقية تابعة لأبي الخطاب ويصبح أول والي عليها من قبل الاباضية.

تولية عبد الرحمان بن رستم على القيروان:

بعد أن تمت السيطرة لأبي الخطاب على القيروان، ولي عليها زميله في الدراسة عبد الرحمان بن رستم الفارسي⁽¹²⁾. وعاد هو إلى طرابلس لاستعداد للقاء جيش أبي جعفر المنصور الذي أرسله إلى إفريقية.

- ولاية ابن الأشعث على مصر وحروبه مع أبي الخطاب:

اختلف المؤرخون حول الدوافع التي جعلت أبا جعفر المنصور يرسل قواته إلى إفريقية :

فيرى البعض أنه (أراد أن يرجع إفريقية إلى العباسيين، ويدخلها تحت نفوذهم، بعد أن نبذ عبد الرحمان بن حبيب طاعتهم واستبد بها)⁽¹³⁾. ومعنى هذا أن فكرة إرسال الجيش إلى إفريقية قديمة وسابقة على ولاية أبي الخطاب، بينما يرى البعض الآخر أن خروج أبي الخطاب إلى إفريقية وانتزاعها من يد الصفرية الورفجوميين هي التي جعلته ينتبه لخطر أبي الخطاب ويرسل الجيوش⁽¹⁴⁾. ويرى دبوز - وهو من المؤيدين لهذا الرأي - بأن تولية ابن الأشعث على مصر بدل موسى ابن كعب التميمي، إنما لمهمة القضاء على أبي الخطاب، واسترداد ما فقدته الدولة العباسية في المغرب الإسلامي⁽¹⁵⁾. فإذا كان هذا الرأي صحيحا فإن ابن الأشعث لم يكن على علم بقوات أبي الخطاب وما تجمع له من البربر، لذلك لم يرسل العدد اللازم لإخضاع أبي الخطاب واكتفى بأن أرسل جزءا من قواته تحت قيادة أحد قواده هو العوام بن

عبد العزيز البجلي، وقد بلغت أخباره أبا الخطاب، فخرج إليه حتى بلغ ورداسة (في شرق طرابلس) فبقي بها، بينما أرسل جزءا من قواته تحت قيادة مالك بن سحران الهواري، فالتقى بالعوام عند سرت فدارت بينهما معركة هزم فيها العوام، وقتل عدد كثير من جيشه⁽¹⁶⁾.

بعد هزيمة سرت تنبه ابن الأشعث إلى خطورة الموقف، وعلم أنه صعب للغاية، ولا بد من استعداد كامل له، فأعد جيشا آخر أقوى من الأول وتحت أمهر قواده هو عمر بن الأحوص العجلي، ورغم ما بذله ابن الأشعث في إعداد هذا الجيش، فإنه لم يكن في المستوى الذي يمكنه من إحراز النصر على أبي الخطاب وما أن علم أبو الخطاب بمسيره حتى بادر بلاقائه خارج طرابلس، فالتقى به عند مغمساس غرب سرت، فدارت بينهما معركة سقط فيها قتلى كثيرون من كلا الطرفين، هزم فيها أبو الأحوص ورجع إلى مصر مدحورا⁽¹⁷⁾.

بلغت أنباء هزائم جيوش ابن الأشعث إلى أبي جعفر المنصور، فبعث إليه يطلب منه التوجه بنفسه على رأس قوات من الجيش إلى أبي الخطاب، فسار ابن الأشعث في جيش بلغ عدده خمسين ألف مقاتل يقودهم ثمانية وعشرون قائدا منهم الأغلب بن سالم التميمي⁽¹⁸⁾.

وعلم أبو الخطاب بهذه الحشود الهائلة التي أرسلها إليه أبو جعفر المنصور فجمع جيشه ونادى بالناس فكثر المتطوعون، كما بعث إلي واليه على القيروان عبد الرحمان بن رستم يطلب منه أن يمدّه بما لديه من قوات، وقد بلغ عدد جيش أبي الخطاب من الكثرة ما جعل بعض المؤرخين يغالون في ذكر عددها، إذ تشير بعض النصوص التاريخية إلى أنه بلغ 120 ألفا وهو عدد خيالي لا يمكن أن يؤخذ على علته. خرج أبو الخطاب بهذا الجيش العرمرم حتى وصل سرت فأخذ فيها مكانه

ينتظر وصول ابن الأشعث، إلا أن ابن الأشعث فوت عليه هذه الفرصة الثمينة، وحرمه من إحراز نصر محقق، فابن الأشعث كقائد عسكري لا بد أن يضع كل الاحتمالات، ويحتاط للأمر خاصة وأنه تلقى ضربتين موجعتين على يد أبي الخطاب وفي نفس المنطقة لهذا تتأقل في سيره وأرسل من يزوده بكل المعلومات المتعلقة بسير أبي الخطاب واستعداد جيشه فعلم أنهم "رهبانا بالليل أسودا بالنهار" يتمنون الجهاد بلاقائه كما يتمنى المريض لقاء الطبيب وأنهم على عدلهم وتقواهم وتطبيقهم لأحكام الله "لو زنا صاحبهم لرجموه، ولو سرق لقطعوا يده" (19).

وفي قمة هذا الاستعداد حدث ما من شأنه أن يؤثر على ميزان القوى ويرجح الكفة لصالح ابن الأشعث، فلقد تنازعت زناته وهوارة بسبب قتل من زناته، ويظهر أن الحكم كان لصالح هوارة فاتهمت زناته أبا الخطاب بالانحياز والميل إلى هوارة ففارقتهم جماعة منها (20).

ومن جهته فإن ابن الأشعث أمام هذه الاستعدادات المادية والنفسية، قد تظاهر بأن المنصور أمره بالعودة وأظهر الأغتباط حتى لا ينكشف أمره، وعاد إلى الوراق مسيرة ثلاثة أيام سيرا بطيئا (21). وعمل بكل الوسائل على أن يشاع عنه هذا الخبر، وهذا ما حدث بالفعل، فقد عاد إلى أبي الخطاب من قومه من يخبره بعودة ابن الأشعث إلى مصر. ويبدو أن أصحاب أبي الخطاب، وهم من المتطوعين قد أعياهم طول الانتظار واطمأنوا لعودة ابن الأشعث، فانصرف الكثير منهم عن أبي الخطاب، وهو غير راض، ولم يبق معه إلا عدد قليل هم من هوارة ونفوسة وطريشة (22).

أما ابن الأشعث فبعد مسيرة ثلاثة أيام، اختار أهل الجلد والقوة في جيشه ففاجأ بهم أبا الخطاب، وأرغمه على خوض حرب، هو غير مستعد لها، فدارت بينهما معركة رهيبة في صحراء سرت وفي وقت شديد الحر، وموارد الماء تحت رقابة قوات ابن الأشعث، ورغم عدم تكافؤ القوى استمات أبو الخطاب وأصحابه في القتال، فقاتل حتى قتل ومن معه من أتباعه الاثني عشر ألفاً عن آخرهم⁽²³⁾.

وممن قتل مع أبي الخطاب في هذه المعركة، عمر بن يمكن اللواتي، عامله على سرت.

ومن شخصيات هواره وأعضاء أبي الخطاب، أوس بن عمر الهواري، وأبو يحيى الهواري⁽²⁴⁾.

ظن ابن الأشعث بهذا الانتصار الخاطف قد وضع نهاية لثورات الخوارج، إلا أنه لم يمض أقل من شهر حتى جمع أبو هريرة فلول البربر بلغ عددها ستة عشر ألفاً، وهاجم بها ابن الأشعث، فتصدى له ابن الأشعث في ربيع الأول عام 144 هـ وقتلهم جميعاً⁽²⁵⁾. فأرسل الخبر إلى المنصور يعلمه بانتصاراته.

وبعد أن استتب الأمر له، عين ابن الأشعث جهازه الإداري، فعين على طرابلس المخارق بن غفار الطائي وعلى الزاب الأغلب بن سالم التميمي⁽²⁶⁾.

طرابلس في ظل الحكم العباسي:

بعد القضاء على دولة أبي الخطاب، أرسل ابن الأشعث قائده إسماعيل ابن عكرمة إلى زويلة وودان، فافتتح وودان وقتل من بها من الإباضية، كما فتح زويلة وقتل رئيسهم عبد الله بن سنان، وأجلى من بقي بها من الإباضية.⁽²⁷⁾ أما هو فقد سار بنفسه إلى طرابلس، وجبل نفوسة، وتتبع زعماء الإباضية وعلمائهم فقتل منهم خلقا كثيرا. وهكذا سار على منواله كل من أتى بعده من ولاية طرابلس، فقد أمعنوا في إذلال من بها من البربر، فقد كان الجزيري وهو أحد ولاية بني العباس ينتقل بين أحياء البربر ومدنهم وقراهم، وكان يشترط على من ينزل عليه من البربر ألا يظلي لحيته إلا الجواري الحرائر من المسلمين.⁽²⁸⁾ كانت هذه السياسة إلى جانب ما جبل عليه الإباضية، من ثورات على الحكم القائم، من الأسباب الرئيسية لثورة طرابلس الكبرى سنة 154 هـ بقيادة إمامهم أبي حاتم المزوزي.

بد أثناء حركة أبي حاتم الملووزي (145هـ-155هـ)

بعد القضاء على دولة أبي الخطاب. واصل اباضية طرابلس نشاطهم السري تحت زعامة أبي حاتم الملووزي.

نسبه:

يختلف المؤرخون حول نسب أبي حاتم، فيذكر بعضهم وعلى رأسهم العلامة ابن خلدون أنه من ملووزة إحدى فروع قبيلة مغيلة، قوم أبي قرة اليفرني الزناتي،⁽²⁹⁾ وفي قول ثاني أنه من سدراته، بينما يذكر فريق ثالث بأنه من قبيلة هواره، ويريد بعض هؤلاء أن يستدل على صحة ما ذهب إليه، كون أبي حاتم يقيم في طرابلس، حيث موطن القبيلة، وأنها أي هواره من أشد القبائل البربرية وأكثرها عددا ومشاركة في ثورات الاباضية.⁽³⁰⁾ إلا أن هذا التعليل لا يمكن قبوله، فكون القبيلة تزعمت ثورات الاباضية. لا يعني بالضرورة أن يكون أبو حاتم منها، فالمعروف أن هواره منذ بداية هذه الثورات حتى نهايتها كانت دائما تلتف حول زعماء أجانب عنها، كان الحارث بن تليد وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري يمينين، وعكاشة فزاريا، وابن رستم فارسيا، وأبو يزيد مخلد بن كيداد زناتيا. وكونه يقيم بين هواره لا يكفي أن يكون دليلا على أنه منها. فقد يكون كما قال دبوز: رحل هو أو أحد أجداده من المغرب الأوسط حيث موطن قبيلته واستقر بطرابلس بين هواره وانتسب إليها.

مبايعته:

ببيع أبو حاتم في رجب 145 هـ كإمام دفاع ومكث عدة سنوات في طرابلس وكان خلالها يرسل الصدقات إلى عبد الرحمان بن رستم الذي كان يعد لقيام الدولة الرستمية، وكانت ولايته على غرار ولاية أبي الخطاب، فبعد أن اشتدت شوكة الإباضية في أحواز طرابلس تظاهروا بأنهم يريدون الاجتماع على أمر امرأة مسلمة وكان زوجها رجل سوء ساءت سيرته إليها فبايعوا أبا حاتم.⁽³¹⁾

ثورة طرابلس 154هـ:

كان واليها من قبل عمر بن حفص هو الجنيد بن بشار الأسدي، وأرسل إلى أبي حاتم، بعد أن رفض الإذعان له والدعاء للخليفة العباسي، خمسمائة فارس تحت قيادة حازم بن سليمان. هزمهم أبو حاتم وقتل عددا كبيرا منهم، وعاد حازم إلى الجنيد مهزوما.⁽³²⁾

وفي هذه الأثناء كان والي إفريقية، عمر بن حفص، مشغولا ببناء مدينة طبنة، بعيدا عن القيروان، فأرسل إليه الجنيد بن بشار يطلب منه نجده، فأمدّه بأربعمائة فارس تحت قيادة خالد بن يزيد المهلب، فالتقى بأبي حاتم في معركة هزم فيها خالد والجنيد وفرا إلى قابس ودخل أبو حاتم مدينة طرابلس⁽³³⁾. وتذكر بعض النصوص التاريخية أن أهل طرابلس من العرب تعرضوا إلى بطش الإباضية تشفيا وانتقاما لما حل بهم على يد ابن الأشعث وخلفائه. استتجد الجنيد مرة أخرى بعمر بن حفص فأمدّه بسليمان بن عباد المهلب، فالتقى بأبي حاتم عند قابس فدارت الدائرة مرة أخرى على قوات ابن حفص فانهزم سليمان بن عباد المهلب ورجع أبو حاتم إلى طرابلس وأقام بها شهورا نظم

خلالها أمور طرابلس، وعين العمال على نواحيها، ثم اتجهت أنظاره إلى إفريقية فأخذ يستعد للسير إليها⁽³⁴⁾.

ثورة إفريقية وحصار القيروان:

في هذه اللحظة كان عمر بن حفص يعاني من الحصار الذي ضرب عليه في طبنة من طرف قوات من الاباضية والصفورية بقيادة عبد الرحمان بن رستم والمسور بن هاني، وأبو قرّة اليفرنى وقد استغلت إفريقية هذه الفرصة فأعلنت ثورتها، وزحفت على القيروان. فخرج إليهم خليفة عمر بن حفص على القيروان (حبيب بن حبيب المهلبى) فهزموا جيشه وقتلوه، وأغلقت القيروان كعادتها أبوابها، وتحصن بها جيش ابن حفص والموالين له من أهل إفريقية.

أراد أبو حاتم أن يستغل هذه الفرصة فصار بجيشه الكبير الذي يتكون من هواره، ونفوسة وزناتة لنجدة الثوار، فانضم إليهم، وشدّدوا الحصار على القيروان، وقطعوا عنها الميرة والأقوات، حتى أكلوا الدواب والقطط والكلاب، وعم الغلاء، فبلغت أوقية الملح فيها درهما⁽³⁵⁾.

إن ما يميز ثورة أبي حاتم عن غيرها من الثورات السابقة عليه هو تنسيقه مع العناصر الخارجية الأخرى، اباضية وصفورية، فبعد أن طال أمد الحصار على القيروان، رأى أبو حاتم أن أفضل حل للقضاء على الحكم العباسي في إفريقية، هو ضرب ممثل هذا الحكم عمر بن حفص، ورأى الفرصة مواتية لما حوَصر عمر بطبنة من طرف قوات من الاباضية والصفورية على رأسها عبد الرحمان ابن رستم في ستة آلاف، والمسور بن هاني في عشرة آلاف وأبو قرّة المغيلي في أربعين ألفاً، وعبد

الملك ابن سكريد الصنهاجي في ألفين، وجريير بن مسعود فيمن تبعه من مديونة.⁽³⁶⁾ غير أن هذا التنسيق والائتلاف الخارجي لم يكتب له النجاح، وسرعان ما فض، وانصرفت جميع هذه العناصر عن طبنة، ويختلف المؤرخون حول أسباب عدم مواصلة الخوارج لحصارهم طبنة، فيرى بعضهم أن عمر اضطر أن يسلك معهم سياسة فرق تسد، فعمل على شراء ذمم بعضهم بالمال، فانسحبوا وأرغموا الباقين على التقهقر، على أنهم اختلفوا فيمن قبل هذه الأموال، فقال بعضهم: أبو قرّة وقال البعض الآخر أن أبا قرّة أبي أن يقبل هذه الأموال قائلاً لرجاله: "بعد أن سلّم علي بالخلافة أربعين سنة، أبيع حربيكم بعرض قليل من الدنيا".⁽³⁷⁾ وأن أخاه هو الذي قبلها وانسحب من الميدان، وأرغم بذلك أبا قرّة على الانسحاب و يؤيد هذا القول أن أبا قرّة بعد انسحابه، أخذ يترقب الفرصة للوثوب على طبنة، وما أن خلا له الجو بخروج عمر حتى وثب على خليفته المهنا، غير أن هذا الأخير هزمه فترجع، وأنه بعد ذلك اتجه إلى القيروان ليشد أزر أبي حاتم الذي أثر العودة بعد فشل حصار طبنة لمواصلة حصار القيروان، وقد شدد الحصار عليها بجيشه البالغ مائة وخمسين ألفاً واضطر الكثيرين من الخروج من المدينة والانضمام إلى قواته. وكادت القيروان تسقط في أيدي أبي حاتم، لولا أن عمر بن حفص ترك طبنة على وجه السرعة لفك الحصار عليها. وفي الطريق كاد أن يقع في قبضة الاباضية لولا أن سلك طريقاً مغايراً (طريق تونس بدلاً من الأربس) فوصل إلى القيروان قبل أبي حاتم الذي خرج للقاءه، وتمكن من تزويد القيروان بالميرة والملح والخطب، وأغلق أبواب القيروان، وخندق على باب أم الربيع.⁽³⁸⁾

وصل أبو حاتم القيروان، وشدد الحصار عليها، حتى نفذت أقواتهم من جديد، وبذلك عادت هذه السياسة على عمر بأوخم العواقب، لقد أجهد الحصار من في القيروان، ودب اليأس في نفوسهم، فرأى عمر أن يفك الحصار الذي ضربه على نفسه، ويخرج من المدينة، ويغير من جديد على القرى والمدن المجاورة للتزود بالميرة، فلما هم بالخروج، اختلف عليه أهل القيروان، وقالوا له: "لا يجوز أن تخرج ونبقى نحن في الحصار. أقم معنا! قال نعم أقيم معكم وأخرج جميلاً والمخارق ومن أحببتهم. قالوا: نعم" (39) إلا أن جميلاً والمخارق وغيرهما من قواده، اختلفوا عليه، ورأوا في الخروج من المدينة انتحار بدون نتيجة، فهمموا بالخروج ولكن سرعان ما تراجعوا عنه، قال النويري "فلما جاء المخارق وجميل بن صخر وصحبهما إلى باب القيروان قالوا: تقيم أنت في الراحة ونخرج نحن!، لا والله لا نفعل" (40) وعاش فترة في صراع نفسي قاتل بين أن يخرج لفك الحصار ويزود المحاصرين، وقد لا ينجح، وبين أن يظل مع المحاصرين وأقواتهم قد نفذت، والجوع قد يفنيه ويفنيهم، وبينما هو على ذلك وصلت رسالة من زوجته خليدة بنت المارك تخبره فيها بأن المنصور قد استبطأه، وبعث في نجدته ستين ألفاً بقيادة يزيد بن حاتم، فعمقت بذلك رغبته في الخروج، وكانت لذلك نهايته. (41)

نجدة المنصور لعمر بن حفص ومصرعه:

لقد طال أمد الحصار وعلم أبو جعفر المنصور أن الأمر ليس عاديا تماما، وأن عمر بن حفص لا يستطيع فك الحصار، والقضاء على أبي حاتم، فعزم على إرسال قوة ضخمة، أنفق فيها أموالا كثيرة تحت أمر قواده، هو يزيد بن حاتم، ورافقه حتى وصل بيت المقدس،⁽⁴²⁾ فأرسل إلى عماله في مصر وبرقة وطرابلس أن يحشدوا ما لديهم من الجيوش ويضموها إلى يزيد.

وبلغت بذلك قوات يزيد ابن حاتم ما يزيد عن مائة ألف، وقد شاع خبر إعداد هذه الحملة بين الناس وعلمته خليفة بنت الممارك زوجة هزار مرد ورأت ذلك عارا على زوجها وعلى سمعته كقائد مغوار فأرسلت إليه تخبره بأن المنصور قد استبطأه "فبعث بيزيد بن حاتم إلى إفريقية وهو قادم في ستين ألفا ولا خير في الحياة بعد هذا".⁽⁴³⁾ عندئذ أنفت نفسه أن يشاع عنه بأن يزيدا أخرجه من الحصار، وخرج من المدينة قائلا: "إنما هي رقدة ثم أبعث إلى الحساب" وقاتل أبا حاتم قتالا مستميتا حتى قتل وذلك يوم السبت منتصف ذي الحجة سنة 154 هـ على يد أبي حاتم وأبي غادي، وكانت مدة ولايته أربع سنوات⁽⁴⁴⁾.

وبعد موت عمر بن حفص، تمكن أخوه لأمه، وهو جميل بن صخر أن يفاوض أبا حاتم ويخلق نوعا من التفاهم، ولو أنه كان أنيا، وقد توصل إلى ذلك على أسس: ألا يخلف أهل القيروان طاعة سلطانهم، ولا ينزعوا سوادهم، وألا يكره أحد من جنده على بيع سلاحه ودوابه، وألا يؤخذ أحدهم على من قتل من البربر وسفك من الدماء في الماضي⁽⁴⁵⁾.

والذي يمعن في هذه الشروط التي تم بموجبها عقد هدنة، يستنتج أن جميلاً أراد كسب الوقت فقط، وأن أهل القيروان لابد أن يثوروا، ولاشك أن موافقة أبي حاتم الملوذي لم تكن نهائية، فقد تظاهر بالرضا أول الأمر، وكان رضا مشوباً بالحدذر "وعندما دخل المدينة، ورأى السواد شعاراً، والأسلحة شاهرة، وطاعة المنصور نافذة"⁽⁴⁶⁾. تراجع في الحال وأمر الجند العباسي بالخروج منه إلى طبنة بعيداً عن إفريقية وجردهم من السلاح حتى لا تحدثهم أنفسهم بالثورة عليه مرة أخرى ودخل القيروان وهدم سورها وأحرق أبوابها.

لم تطل إقامة أبي حاتم في القيروان، فقد بلغته أنباء وصول النجدة العباسية التي أرسلها أبو جعفر المنصور، فجهز جيشاً من هواره ونفوسة وضريسة وأخلط البربر، فحظهم على الجهاد، ورغبهم في الاستشهاد، وخرج لملاقاة يزيد بن حاتم، فاستخلف على القيروان عبد العزيز ابن السمح المعافري ومعه عدد قليل من الجيش، وفي طريقه إلى طرابلس، أرسل إلى خليفته عبد العزيز بن السمح المعافري يأمره بتجريد من بقي من جند جميل بن صخر، وألا يترك اثنين منهم يجتمعان في مكان واحد، وأن يرسلهم إليه واحداً بعد الآخر.⁽⁴⁷⁾ ويظهر أن أهل القيروان قد بلغهم ما بيته لهم أبو حاتم، ففعلوا بثورتهم، وقتلوا جماعة كثيرة من أصحابه⁽⁴⁸⁾.

علم أبو حاتم بما وقع، فعاد على جناح السرعة، ووجد عمر ابن عثمان رأس الثوار قد فر إلى تونس، وجميل ابن صخر والجنيد ابن سيار قد اتجها إلى المشرق للانضمام إلى قوات يزيد بن حاتم⁽⁴⁹⁾.

كلف أبو حاتم جرير بن مسعود المديوني باقتفاء أثر عمر بن عثمان، وعاد هو إلى طرابلس لمواجهة يزيد بن حاتم، فالتقى به عند

مغمداً قرب سرت، ودارت بينهما معركة تمكن أبو حاتم في بدايتها من هزيمة طلائع جيش يزيد، بلغ تعدادها ستة عشر ألفاً، إلا أن بلاء يزيد وحسن قيادته للجيش، وانضمام قبيلة مليلة الهوارة إليه مع جماعة من قبائل البربر الأخرى، كيوسف الفرطيطي وعمر بن مطكود النفوسي (الليزان دلاء على عورات البلاد) اضطرت أبا حاتم إلى التراجع نحو جبل نفوسة ليأخذ فيها مكاناً وعراً خلف خندق حفره في الحين⁽⁵⁰⁾.

وقد تم له النصر في أول لقاء له مع يزيد، لكن يزيد أفسد عليه خطته، حيث أشار عليه بعض من انضموا إليه من زعماء نفوسة أن يستند إلى جبل جندوبة المنيع ليقبض ظهره، فكرر على أبي حاتم وتمكن من اجتياز الخندق، والتقت جيوشه بجيش أبي حاتم فهزمتها، وقتل أبو حاتم وكان ذلك في شهر ربيع الأول 155هـ⁽⁵¹⁾.

لم يكتف يزيد بهذا النصر العسكري الخاطف، واستبدت به شهوة الثأر لقريبه عمر بن حفص فتتبع الاباضية في كل سهل وجبل وقتل من هوارة ونفوسة خلقاً كثيراً.

ولخوفه من ثورة البربر عليه هناك، استمر في طرابلس مدة شهر كامل، ثم استخلف عليه أحد قواده ويدعى سعيد بن شداد، وسار إلى القيروان فدخلها في جمادي الثانية سنة 155هـ⁽⁵²⁾.

كانت هذه الضربة التي ألحقها يزيد بأبي حاتم نهاية لثورات الخوارج الاباضية في صورتها المنظمة الشاملة، غير أنه لم يستطع القضاء عليها نهائياً، فقد تجددت في عهد خلفائه وكانت إقليمية

محضة، اقتضرت في طرابلس على اباضية هواره سنة 156هـ، وعلى نفزاوة في افريقية، وقد تم القضاء عليها وعلى رؤسائها في الحين (53).

ج. ثورة أبي يحيى بن فرياس الهواري :

اقتضرت هذه الثورة كما سبق القول على هواره طرابلس، وكانت لذلك إقليمية محضة، تم إخمادها بكل سهولة، ويظهر أن هذه الثورة كانت في المقام الأول كرد فعل لما أوقعه بهم يزيد بن حاتم، وكانت بزعامة أبي يحيى بن فرياس الهواري، وقد انضمت إليها جماعة من نفوسة وزناتة، غير أنها لم تصمد إلا قليلا، فقد تصدى لها عبد الله ابن السمط الكندي، فاشتبك بأبي يحيى في الساحل الشرقي لطرابلس، ودارت بينهما معركة ذهب ضحيتها قتلى كثيرون من كلا الطرفين، واستطاع عبد الله بن السمط أن يخمدتها، ويعيد الهدوء والسكون إلى طرابلس (54).

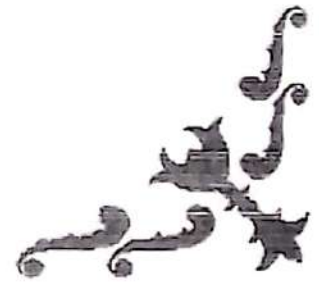
بهذا تتصعد حركات الاباضية في المغرب الأدنى وافريقية وتتهدن البلاد ليزيد بن حاتم وخلفائه من آل المهلب، وحققت افريقية في عهده نهضة ثقافية واسعة (55).

أما في المغرب الأوسط، فقد نجح عبد الرحمان بن رستم في جمع "بقايا السيوف من الاباضية" وأقام الدولة الرستمية التي عمرت 152 عاما، مكنت اباضية المغرب الأوسط والأدنى من تطبيق مذهبهم وممارسة نشاطهم الثقافي والاقتصادي في حرية واطمئنان (56). هذه الدولة التي أقامت برهانا قويا على نجاح ثورات الاباضية في تحقيق هدفها في إقامة دولة اباضية تقوم على العدل والمساواة.



الفصل الخامس

هوارة والدولة الرستمية



الفصل الخامس

هواره والدولة الرستمية

فبعد فترة طويلة من النضال ضد ولاة بني أمية وبني العباس، أثمرت ثورات الخوارج الاباضية، وانتهى نضالهم بقيام الدولة الرستمية في المغرب الاوسط.

وكانت قبيلة هواره ممن أنشأ هذه الدولة ولعبت دورا هاما في حياتها السياسية بعد ذلك - سلبا وإيجابا - سواء في تاهرت أو في طرابلس وجبل نفوسة.

أولاً: في تاهرت

1- دورها في قيام الدولة الرستمية:

بعد استشهاد أبي الخطاب كان من الطبيعي أن يتجه عبد الرحمن ابن رستم إلى المغرب الأوسط لاثذا بالقبائل الاباضية بها. وبعد رحلة شاقة وعسيرة وصل جبل سوفجج واتخذهُ هو ومن تبعه من طرابلس وسائر أقاليم المغرب ملاذاً لمناعته وهناك توافدت عليه قبائل المغرب الأوسط، لماية، ولوارة، وهوارة. وأمدته بكل ما يحتاج إليه من زاد وسلاح واستطاع أن يصمد أمام ضربات ابن الأشعث الذي اضطر أن يعود من حيث أتى بعد أن حل الوباء بجيشه⁽¹⁾.

وإثر رحيل ابن الأشعث استطاع عبد الرحمان بن رستم أن يغادر جبل سوفجج إلى تاهرت القديمة، وكانت تسكن بها ومن حولها قبائل: هوارة، ولوارة، ومكناسة، ومزاتة ولماية، ومعظمها على المذهب الاباضي. وكان من الطبيعي لذلك أن ترحب به وخاصة لماية لتقديم حلف بينه وبينهم⁽²⁾، وتلتف حوله، وبوصول ابن رستم إلى تاهرت والتفاف اباضيتها حوله تبتدئ ما يعرف في اصطلاح الاباضية بإمامة الدفاع وأول ما ابتدأ، به العهد الجديد، هو مساهمته في حصار عمر بن حفص (هزارمرد) بطبنة على رأس ستة آلاف جندي من مختلف القبائل الاباضية بالمغرب الأوسط. وبعد رفع الحصار عن طبنة، وهزيمة جيوش عبد الرحمان بن رستم عند تهودة، تأكد لدى اباضية تاهرت أكثر من ذي قبل وجوب الإسراع في إنشاء دولة لهم، وفاوضوا في هذا الشأن إمامهم عبد الرحمان بن رستم فأجابهم إلى ذلك: لكنه

رأى أن يبتدئوا ببناء مدينة تليق عاصمة للدولة الجديدة قبل الإعلان عنها بمبايعة إمامها.⁽³⁾

وإثر ذلك جاب الرواد أطراف إقليم تاهرت بحثا عن الوضع اللائق، فوقع اختيارهم أخيرا على تاهرت الحديثة، وكانت لقوم من صنهاجة ومنداسة (هواره) وأثمرت المفاوضات عن تنازل هذه القبائل عن الموضع المختار لقاء دخل معلوم من أسواقها وغللات أراضيها⁽⁴⁾.

وبعد بناء تاهرت أي حوالي ستة عشر عاما من انتقال عبد الرحمان بن رستم إلى المغرب الأوسط بادر رؤساء قبائل المغرب الأوسط: هواره، ولوالة، ولماية ونفوسة، وصنهاجة وغيرها من القبائل العتيقة، وبايعوا عبد الرحمان بن رستم إماما للدولة الجديدة.⁽⁵⁾ وأصبح أول أئمة الدولة الرستمية التي اشتقت اسمها من اسمه.

مركز هواره في الدولة الرستمية:

ضمت الدولة الرستمية قبائل متعددة من البربر: هواره، ونفوسة، ومزاتة، ولوالة وسدراته ولماية، وعناصر أخرى مختلفة من الفرس والعرب والجند الإفريقي وأجناد الأئمة الرستمية - وأتباع السمع بن أبي الخطاب.⁽⁶⁾ ولكل قبيلة من هذه القبائل، وعنصر من هذه العناصر مركزها ووظيفتها في الدولة الرستمية، اختصت العناصر الفارسية بقيادة الجيوش وأعلى المناصب في الدولة واستحوذوا على التجارة والثقافة فبنوا القصور والمنازل، باختصار شكلوا دولة داخل الدولة.⁽⁷⁾ وانضردت نفوسة بالشؤون السياسية العامة وتولية الأئمة أحيانا كما حدث إثر وفاة أفلح بن عبد الوهاب (الله سائلكم معاشر

نفوسة إذا مات واحد جعلتم مكانه آخر ولم تجعلوا الأمر للمسلمين وتردوه إليهم فيختارون من هو أتقى وأرضى⁽⁸⁾.

أما هواره وغيرها من القبائل البدوية كلواته ومزاته فقد فظلت الإقامة حول تاهرت واحترفت الزراعة والتجارة وحقت منها أرباحا طائلة (فاتخذت العين والخيول ونالها من الكبر ما نال أهل المدينة).⁽⁹⁾ ولم تحظ بما حظيت به نفوسة وغيرها من العناصر (كالعنصر الفارسي) من مناصب ووظائف اللهم إلا منصب القضاء ولمرة واحدة- حسب ما تشير كثير من النصوص- تولاه محكم الهواري ولاء إياه مجلس الشورى على عهد الإمام أفلح ابن عبد الوهاب.⁽¹⁰⁾ وكان دورها عسكريا محضا يتمثل في حماية النظام مع غيرها من القبائل: لواته ولماية ومطماطة وغيرها. وكانت هذه القبائل تسلح نفسها وتستعد للحرب لتجيب داعي الإمام إذا استتفرها ودعاها لحروبه، وقد كانت هواره وهي من القبائل القوية في الدولة الرستمية تجند في النفير العام أكثر من ثلاثين ألف مقاتل وقد خرجت يوما للحرب فعدوا في جندها ألف فرس أبلق أما غيره فأضعاف هذا⁽¹¹⁾.

ولعل لهذه المكانة ولهذا الدور الهامشي رفعت راية العصيان ضد الإمام عبد الوهاب وشكلت غير بعيد عن تاهرت إمارة ظلت على عدائها للدولة الرستمية طيلة إمامة عبد الوهاب وابنه أفلح.

ثورتها على الإمام عبد الوهاب:

فبعد وفاة الإمام عبد الرحمن انتقلت الإمامة مباشرة إلى ابنه عبد الوهاب، فأنكر عليه يزيد بن فنديل ذلك وأشهر السلاح في وجهه. وقد استغلت القبائل الساخطة عليه سياسيا هذه الثورة فأعلنت هي الأخرى تمردا وكانت ثورة هواره إحدى هذه الثورات.

هذه الحركة تنقسم المصادر والمراجع التي تتحدث عنها إلى قسمين، البعض يعتبرها ثاني الانشقاقات المذهبية (ابن الصغير المالكي) والآخرين وهم الأكثرية يعتبرونها مجرد تمرد ناتج إما عن البطر والغنى الذي أصاب هواره (محمد علي دبوز) أو عن الخلاف الذي وقع بين الإمام عبد الوهاب وزعيم الأوس من هواره حول الزواج من إحدى بنات شيخ لواتة التي تعيش داخل الدولة الرستمية ومن الذين يرون هذا الرأي الأستاذ محمود إسماعيل الذي يعارض ابن الصغير رأيه ويؤكد بأن هذه الثورة خالية من أي خلاف فقهي أو مذهبي وأنها مجرد تمرد سببه مبادرة الإمام عبد الوهاب بمصاهرة شيخ لواتة وقطعه الطريق أمام زعيم الأوس من هواره⁽¹²⁾.

والحقيقة أن تسرع الإمام بزواجه من هذه البنت إنما كان خوفا من تحزب القبيلتين ضده (لواتة وهواره) وهذا التحزب والخوف منه يعني صراحة أن الإمام يدرك جيدا إن سياسته وخروجه عن تعاليم المذهب لم ترض هذه القبائل وأنها تستنكر سياسته، وتنكر إمامته، وإن لم تعبر عن ذلك صراحة كما فعل ابن فنديل وجماعته والذين عرفوا بالنكار، ولهذا عمد إلى هذا الزواج السياسي، وكان الإقدام على تنفيذ هذه الفكرة السبب المباشر الذي فجر ثورة هواره عليه.

ومهما يكن فبعد الذي حدث صممت هواره على الثورة ورحلت من مضاربها الواقعة جنوب تاهرت، ونزلت بمكان غير بعيد عنها (10) أميال) عرف فيما بعد بوادي هواره، ومن هناك شنت العديد من الغارات قال ابن الصغير: "وتمردت هواره وأوقدت نار الحرب وبدأت بالغارات فأصاب أول غارة لها ولدا لبقال على نهر هناك فقتلوه، وتركوه، ولم يغيروا من حالة ولا من ماله شيئا، وثارت الصيحة إلى المدينة فابتدر الناس فأصابوه ولا روح له، ولما لم يجدوا فيه تغييرا ولا نقصا في لباسه حاروا في الأمر ثم صاروا يبحثون في متاعه إلى أن فقدوا خاتما كان في إصبعه فكبروا وقالوا هؤلاء، قد استحلوا الأموال والسلب فحل للمسلمين قتالهم". (13)

وبعد أن ارتكبت ما حل للمسلمين قتالها، جهز لها الإمام عبد الوهاب جيشا من ألف فارس وحشودا هائلة من الرجالة شاركت فيه نفوسة وغيرها وأخذها على حين غفلة، ودارت بينهما معركة رهبة على نهر أسلان قتل فيها من الطرفين خلق كثير، انتهت بهزيمة هواره وفرار قلولها إلى جبل ينجان⁽¹⁴⁾، وهناك كونت إمارة مستقلة عن الدولة الرستمية ظلت في صراع معها طوال إمارة أفلح بن عبد الوهاب.

إمارة هوارة:

بعد الخلاف الذي وقع بين زعيم الأوس من هوارة والذي أدى إلى رحيلها عن مضاربها جنوب تاهرت، وبعد هزيمة الإمام لها عند وادي هوارة (على بعد 10 أميال من تاهرت) غادرت جموع هوارة مضاربها الجديدة إلى جبل ينجان حيث نظمت دولة صغيرة، تحت الحكم المحلي لبني مسالة، ويقع مركز هذه الدولة - مع نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي- فوق إقليم الهليل وغليزان، وعاصمتها مينة، وتضم قلعة هوارة التي تدعى اليوم قلعة بني راشد الواقعة بجبال ما بين غليزان ومعسكر⁽¹⁵⁾ وقد عاشت هذه الدولة طيلة إمامة أفلح بن عبد الوهاب في عدااء مستمر مع الدولة الرستمية، وبعد وفاته استغل أميرها محمد بن مسالة فرصة الصراع الذي وقع في تاهرت فرحل بجموعه من هوارة ودخل تاهرت دون عناء واستغرق حكمه لها ثماني سنوات اتسمت كلها بالهدوء والاستقرار.⁽¹⁶⁾

موقفها من الصراع الذي أعقب وفاة الإمام أفلح:

أحدثت وفاة الإمام أفلح بن عبد الوهاب فراغا سياسيا كبيرا أدى إلى صراعات خطيرة استمرت طوال عهدي ولديه الإمامين أبي بكر وأخيه أبي اليقظان وكادت تعصف بالدولة الرستمية قبل أوانها. وكانت بداية الصراع حول إمامة أبي بكر، فقد بايعته نفوسة من دون القبائل الأخرى رغم احتجاج فقهاء المذهب الإباضي على ذلك،⁽¹⁷⁾ - خلاف ما تورده بعض الروايات- ثم تطورت الأمور بعد مبايعته تطورا سريعا، حيث أدار أبو اليقظان ظهره لمختلف القوى في تاهرت وحتى نفوسة التي كانت القوة الوحيدة التي وقفت إلى جانبه

واوصلته إلى الحكم وارتقى في أحضان قوة الجند والعرب التي كانت تكرهما سائر القوى ووطد صلاته بها بمصاهرة زعيمها ابن عرفة وسلم إليه مقاليد الحكم وتفرغ إلى هواياته وملذاته وكانت النتيجة لهذه السياسة أن قتل ابن عرفة في ظروف غامضة، ونتج عن هذا الحادث نوع من الفوضى السياسية عمت تاهرت " وتحفزت سائر القوى لتخرج من هذه الفوضى ظافرة بالإمامة ودخل بعضها مع البعض في ائتلافات وتحالفات لتحقيق هذه الغاية" (18).

وبالنسبة لهوارة التي كانت تشكل إحدى هذه القوى فقد تميز موقفها بالآتي:

1- فبالنسبة لتولية أبي بكر فقد انقسمت على نفسها، وكان موقف بعض بطونها قد شذ عن موقف بقية القوى الأخرى، حيث وقفت إلى جانب أبي بكر وآزرته في محنته. (19) بينما كان موقف البطون الأخرى طبيعياً ولا يمكنه إلا أن يكون غير ذلك فقد وقفت إلى جانب القوى التي تتكر إمامة أبي بكر واستكرت سياسته تجاه مختلف القوى التي تضمها دولته وتركه شؤون البلاد بيد ابن عرفة فغادرت تاهرت عائدة إلى مواطنها الأولى (20).

2- أما بالنسبة للصراع والفتنة التي أعقبت وفاة ابن عرفة فلقد وقفت في البداية موقف المتفرج وبعد الصراع الذي استمر عامين وأدى إلى إضعاف أطرافه جميعاً وجدت الفرصة سانحة فغادرت مضاربها بجبل ينجان بزعامه أميرها محمد بن مسالة ودخلت تاهرت عنوة وبدون مشقة كبيرة وأخذتها من يد قوة الجند والعرب ونصبت ابن مسالة أميراً عليها، واستمر حكمه لتاهرت ثماني سنوات. (21)

وكان من الممكن أن يستمر أكثر من ذلك وتستقر الأحوال بتاهرت وتظل هواره سيدة الموقف لولا الخلاف الذي وقع بينها وبين لواتة، بعد عام من سيطرتها على تاهرت فقد نجم عن هذا الخلاف طرد لواتة من مدينة تاهرت حيث نزلت بحصنها الذي يوجد قريبا من أسكيدال،⁽²²⁾ حيث يقبع الإمام أبو اليقظان والرستمية. وطبيعي جدا أن يحدث الوثام بين هذه القبيلة وبين الإمام وتبايعه بالإمامة ولو نكاية بهواره، فبايعته سنة 611هـ/875م وانضمت إليها معظم القبائل وبايعت أبا اليقظان وأنكرت حكم هواره.⁽²³⁾

حاول أبو اليقظان بعد هذه البيعة أن يدخل تاهرت قوة وتكررت محاولاته مدة سبع سنوات، وكانت في كل مرة تبوء بالفشل.⁽²⁴⁾ وأخيرا اضطر إلى أن يطلب العون من جبل نفوسة - الجناح الشرقي للدولة - فأمدته نفوسة وحاصر تاهرت مدة، ولما لم يتمكن من دخولها فاوض ابن مسالة وتمكن من دخولها سنة 268هـ/882م.⁽²⁵⁾

ويحاول الأستاذ دبوز أن يتبين أسباب احتلال ابن مسالة لتاهرت - رغم وضوحه - إلا أنه يناقض نفسه، فتارة يرده إلى طموح ابن مسالة وحبه للإمارة وأخرى أنه يريد: " أن تقع تاهرت في قبضته هو وألا تقع في أيدي الجند والعباسيين الذين يغلي بهم الحقد والعداوة فيفسدون في العاصمة ويتكلمون بمن بقي فيها من الضعفاء الجمهوريين الذين فيهم جمهور كبير من قومه هواره"،⁽²⁶⁾ على حد تعبيره ويستدل على ذلك بتنازله للإمام أبي اليقظان ودخول هذا الأخير تاهرت دون مقاومة. وفيما يتعلق برأيه الأول فإذا كان صحيحا فإنه لن يلام ابن مسالة أمام تلك الصراعات وكان أولى بها، وقد أظهر كفايته لهذا

المنصب، إذ قاد تاهرت مدة ثماني سنوات اتسمت كلها بالهدوء والاستقرار.

وبالنسبة للرأي الثاني فلا أحد ينكر تلك المحاولات التي قام بها أبو اليقظان لدخول تاهرت والتي باءت كلها بالفشل وأن ابن مسّالة لم يتنازل عن حكم تاهرت إلا عندما رأى الأمور تتجه لغير صالحه. وقد كان حكيما حين انتهز أول فرصة للصلح فتفاوض مع أبي اليقظان وأنقذ كرامته وسلم تاهرت دون أن تسفك الدماء الحرام وكان بذلك أكثر وفاء لمبادئ المذهب من أبي اليقظان الذي يمّجده الأستاذ دبور ويدافع عنه بكل وسيلة حتى ولو ناقض نفسه.

ثانيا: في طرابلس وجبل نفوسة:

بعد سقوط إمارة أبي حاتم، وفشل ثورة هواة بقيادة يحيى بن فرياس الهواري خضعت طرابلس للحكم العباسي العسكري، ولقي اباضية هذه المنطقة الشيء الكثير خاصة هواة، لأنها منطقتها ومن أكبر القبائل فيها كما أنها من أشدها مقاومة للحكم العربي فيها وبعد فشل هذه الثورات التي لعبت فيها الدور البارز كان من الطبيعي أن تلقى عنتا شديدا على يد ولاية إفريقية، وتحرم من الانضمام إلى الدولة الرستمية التي شبت وترعرت في المغرب الأوسط على خلاف جيرانها، ومن الطبيعي كذلك أن تشحن ثغورها ومراكزها سيما مدينة طرابلس بالجند الكثيروكان لا بد من أن يلقي الحكم العباسي في هذه المنطقة متاعب كثيرة من طرف هذه القبيلة العتيدة من أجل انضمامها إلى الدولة الرستمية.

ثورة عياض بن وهب وانضمام هواة إلى الدولة الرستمية:

بدأ النزاع بين هذه القبيلة وبين عامل طرابلس سفيان بن أبي المهاجر أيام ولاية هرثمة ابن أعين على إفريقية سنة 180هـ بزعماء أحد رجالات القبيلة ويدعى عياض بن وهب الهواري وقد حاول هرثمة أن يقضي على الثورة فاستعصت عليه وكثرت الخلافات وأفلت زمام الأمر من يده فما كان إلا أن قدم استقالته للرشيد الذي قبلها وسمح له بالرجوع إلى المشرق سنة 181هـ⁽²⁷⁾.

وقد تجددت هذه الثورة أيام ولاية إبراهيم بن الأغلب سنة 193هـ بزعامه عياض بن وهب الهواري أيضا ، ونجحت هواراة في اجتياح مدينة طرابلس وألحقت بها الخراب والدمار ، فهب لها إبراهيم ابن الأغلب فسير إليها جيشا من سبعة ألف فارس على رأسه ابنه عبد الله الذي تمكن من هزيمة هواراة واسترداد المدينة (28).

وقد لقيت هواراة من عبد الله بن الأغلب ما لاقت وإزاء هذه المعاملة القاسية استغاثت بالإمام عبد الوهاب الذي كان موجودا بجبل نفوسة ، وللعلاقة المذهبية بينه وبينهم لم يسعه إلا أن يلبي دعوتهم فخرج على رأس جيش من نفوسة وغيرها فانضم إلى الثورة وضرب الحصار على مدينة طرابلس ، وقد بذل ابن الأغلب كل جهده للاحتفاظ بالمدينة فسد باب زناتة واكتفى بمناوشة الثوار من باب هواراة - المعروف الآن بباب المنشية - وفي أثناء هذا الحصار اغتيل مهدي النفوسي أحدث مشاهير الاباضية إلا أن هذه المكيدة لم تزد المحاصرين إلا قوة وظل عبد الله محاصرا في طرابلس لا يستطيع الخروج منها والرجوع إلى القيروان ، ونفسه الأبية لا تسمح له بالاستسلام ، وفيما هو في بلاء الحصار جاء الخبر ، بموت والده إبراهيم بن الأغلب وكان هو وارث عرشه فلا بد من الرجوع للقيروان ، فأرسل إلى الإمام عبد الوهاب يطلب منه الصلح فاصطلحوا على أن يكون الساحل كله من جنوب صفاقس إلى خليج سرت للدولة الرستمية ومدينة طرابلس والبحر للدولة الأغلبية (29).

هكذا انتصر الإمام عبد الوهاب وانتصرت هواراة بسبب قوة الحصار الذي ضرب على مدينة طرابلس وبسبب اضطرار عبد الله إلى وقف القتال وعودته إلى القيروان قبل أن يسطو أحد أبناء والده على

الحكم - وهو وارث عرشه - وقد شجع هذا الانتصار الإمام عبد الوهاب فضرب صفحا عن الاتفاق واستولى على قابس الذي كان تابعا للدولة الأغلبية، وكذلك بعض القرى والحصون المجاورة، وعبرت جيوشه البحر إلى جربة فاستولى عليها، ومنها عاد إلى جبل نفوسة ثم تاهرت بعد أن عين عمالا على هذه المناطق الجديدة⁽³⁰⁾.

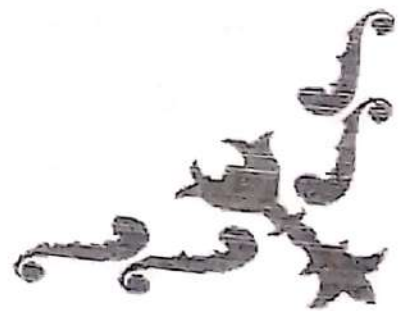
وقد حاولت هوارة مع نفوسة بعد ذلك الاستيلاء على مدينة طرابلس وجعلها تابعة للدولة الرستمية في عهد أحمد بن محمد الأغربي وذلك سنة 245هـ/860م وكادت طرابلس أن تسقط في أيديهم لولا الامدادات التي وصلت إلى عاملها من القيروان فحالت دون سقوطها.⁽³¹⁾

Handwritten text in a cursive script, likely a letter or a page from a manuscript. The text is written in dark ink on aged, slightly yellowed paper. The handwriting is fluid and characteristic of the 18th or 19th century. The text is arranged in several paragraphs, with some lines indented. The ink is somewhat faded in places, and there are some small stains or marks on the paper.



الفصل السادس

هوارة والدولة الفاطمية



Handwritten text in Arabic script, likely a title or heading.

Handwritten text in Arabic script, likely a subtitle or a line of poetry.

الفصل السادس

هواره والدولة الفاطمية

تمهيد:

سقطت تاهرت في يد عبد الله الشيعي سنة 297هـ/909م دون قتال، وبسقوطها تنتهي أكبر دولة إباضية أقامها الخوارج الإباضية في المغربين الأدنى والأوسط ويخضعون لدولة شيعية غربية محتلة متعصبة. وكان من الطبيعي لذلك أن يثوروا عليها كلما سنحت الفرصة ويسببون لها متاعب كثيرة بل ويهددون بزوالها من بلاد المغرب، كانت هذه الثورات: ثورة نفوسة بقيادة أبي زكريا الإرجاني، ثورة هواره طرابلس، ثورة أبي خزر وثورة الإباضية الكبرى⁽¹⁾.

دور هوارة في ثورات الخوارج الاباضية:

واجهت الدولة الفاطمية بعد قيامها بسنوات عدة ثورات للخوارج الاباضية كان لهوارة فيها سهم وافر، فلقد كانت ثورة طرابلس 330هـ/941م هوارية محضة⁽²⁾، كما لعبت دورا هاما للغاية خلال الثورة الاباضية الكبرى بقيادة أبي يزيد مخلد بن كيداد.⁽³⁾

ثورة هوارة بطرابلس:

بعد أن استقرت الأمور لعبيد الله المهدي وخضع له طرابلس كان أول عمل قام به أن عين على طرابلس ماكنون بن ضبارة اللحياني، فتارت عليه هوارة بزعامة أبي هارون الهواري ومعها جماعة من زناتة ولماية وغيرها من القبائل البربرية وحاصرت طرابلس واضطر ماكنون إلى الاعتصام بداخله لا يستطيع الخروج، فأرسل إليه المهدي نجدة على رأسها ابن أخيه تمام بن معارك فالتقى بالثائرين خارج المدينة ودارت بينهما معركة هزموا فيها ومثل بجثث الكثيرين منهم⁽⁴⁾، فكان جزاء تمام بن معارك - جزاء سنمار - فلقد بلغ المهدي أنه يتآمر ويعمل ضده، فأوعز إلى ماكنون فقتله سنة 298هـ.⁽⁵⁾

بعد هذا الانتصار أمن ماكنون ثورة البربر عليه فعاث في طرابلس فسادا فتار عليه أهلها من هوارة وغيرها سنة 300هـ وأخرجوه منها وغلقوا أبواب طرابلس وقضوا على من فيها من أنصار ماكنون من كتامة وغيرها.⁽⁶⁾ ثم قدموا عليهم محمد بن إسحاق القرشي الملقب بابن القرلين فبعث إليهم عبيد الله المهدي أسطولا بحريا تلقوه

بأسطولهم فأحرقوه وقتلوا من فيه ثم أرسل إليهم ثانية وعن طريق البحر ابن أبا القاسم في شهر جمادى الأولى سنة 300هـ فاعترضته هوارة و لعدم تكافؤ القوى أوقع بها ثم تقدم وحاصر طرابلس حتى فتى ما بها من أقوات وأكل أهلها الميتة، فاضطروا أن يتقدموا بطلب الأمان لأبي القاسم فأمنهم بشرط أن يقدموا إليه ثلاثة من زعمائهم هم: محمد بن إسحاق زعيم الثورة، ومحمد بن نصر، وثالث يقال له الحوچه) كلهم قتلوا برقادة بعد أن طيف بهم في شوارع القيروان على الجمال تشهيرا بهم) وغرامة مالية قدرها حوالي ثلاثمائة ألف دينار.⁽⁷⁾

ثورة أبي يزيد:

نسبه:

هو مخلد بن كيداد ينتهي بنسبه إلى قبيلة زناتة، ولد بكركو من بلاد السودان من جارية هوارية صفراء، نشأ بتوزر وتعلم القرآن، وخالط جماعة من الخوارج النكارية، فمالت نفسه إلى مذهبهم ثم انتقل إلى تاهرت وأقام بها مدة يعلم الصبيان إلى أن هاجمها أبو عبيدة الشيعي فغادرها إلى تقيوس واشترى بها ضيعة وأقام يعلم الصبيان، وكان مذهب الخارجي هو تكفير أهل الملة واستباحة أموالهم ودمائهم والخروج على السلطان فبدأ يحتسب على الناس في أفعالهم ومذاهبهم وجلب إليه طائفة من المعجبين برأيه وسلوكه حوالي سنة 316هـ، وأصبح يشكل خطرا على الدولة الفاطمية لذلك نذر الولاة بقسطنطينية دمه فخرج إلى الحج من نفس السنة، ولكثرة الطلب عليه عاد من طرابلس إلى تقيوس وبعد وفاة المهدي أمر ابنه القاسم وإلى قسطنطينية

بإلقاء القبض عليه ففر إلى المشرق حيث قضى فريضة الحج وعاد بعدها إلى موطنه توزر سنة 325هـ فبدأ يعد للثورة على القائم⁽⁸⁾.

لم تطل إقامته بتوزر حتى ألقى عليه القبض وأودع السجن، حاول شيوخ النكار وعلى رأسهم أبو عمار الأعمى صاحبه أن يلتمسوا له العفو دون جدوى فصمموا على تحريره بالقوة فكان لهم ما أرادوا.⁽⁹⁾

فقصد بني وارجلا أملا في ينصروه، فلما لم يجد عندهم ما كان يرجوه، كتب إلى أهل الأوراس فأجابوه فمضى إليهم، حيث نزل بموضع يقال له الفوالات، وهناك اجتمع عليه الأقارب وسائر الخوارج فبايعوه سنة 331هـ/942م على قتال الشيعة واستباحة الغنائم والسلب على أن يكون الأمر شورى إذا ظفروا بالمهدية.⁽¹⁰⁾

مراحل الثورة:

يمكن بناء على الدور الذي لعبته هواره تقسيم ثورته إلى ثلاث مراحل، تبدأ الأولى بالتفاف خوارج الأوراس حوله ومبايعته (وأغلبهم من هواره) حتى فتح القيروان وانضمام هواره إفريقية إليه (بنو كملان) والثانية من فتح القيروان حتى فشل حصار المهدية وتفرق جيوش أبي يزيد وبقاؤه وحده مع قبائل هواره يواجه جيوش القائم، الثالثة منذ انصرافه عن المهدية إلى فرارة للمغرب الأوسط، وتخلي هواره أوراس وبنو كملان عنه، وتركه وحده يواجه حصار المنصور بقلعة كتامة.

المرحلة الأولى:

بعد البيعة مباشرة عول القائم على مباغتته قبل أن يشتد عوده، فبعث إليه بجيش كبير حاصره بجبل أوراس، إلا أن أبا يزيد أفلح في فك الحصار المضروب عليه وأحرز نصرا سريعا على جيوش القائم ذاع بعده صيته وكثر أنصاره خاصة من مزاتة⁽¹¹⁾.

بعد هذا الانتصار شرع أبو يزيد في فتوحاته فبدأها بالهجوم على باغاية فلم يوفق إلى فتحها ثم بعث إلى أنصاره من بني وسين فحاصروا توزر واستولوا عليها ومضى هو إلى تبسة ومجانة ومرماجنة ودخلها صلحا ثم تقدم واستولى على الأريس بدون قتال بعد أن فرّت عنها جيوش كتامة وأضرم فيها النيران ومنها إلى سببية حيث استولى عليها⁽¹²⁾.

أحدث سقوط الأريس هلعا كبيرا في المهديّة فأعد القائم جيوشه لضبط المدن والثغور فأرسلها تحت أبرع قواده قوة إلى باجة على رأسها بشرى الصقلي وأخرى إلى ناحية المهديّة على رأسها فتاه ميسور وثالثة إلى القيروان على رأسها خليل بن إسحاق⁽¹³⁾.

واصل أبو يزيد فتوحاته فتقدم نحو باجة والتقى بقوات بشرى التي أرسلها المهدي لتحول دون سقوط باجة، فدارت بينهما معركة، استمات فيها الطرفان، وكادت الهزيمة تحل بجيش أبي يزيد، فقام بحركة التفاف، مكنته من الاستيلاء على معسكر بشرى فانهزم إلى تونس ودخل أبو يزيد باجة واستباحها⁽¹⁴⁾.

بعد هزيمة باجة لحق بشرى بتونس فاستمال أهلها بالمال، ومن جهته بعث أبو يزيد قوة إلى تونس لملاحقة بشرى دارت الدائرة عليه،

وفي هذه الإثناء ثار أهل تونس على بشرى وكاتبوا أبا يزيد يطلبون الأمان فأمنهم وولى عليهم، ثم مضى نحو القيروان، فنزل بموضع قريب منها يقال له رقادة في مائة ألف جندي⁽¹⁵⁾.

وصل يزيد القيروان فحاصر بها خليلا بن إسحاق مدة، ثم فاوضه في الصلح فدخل القيروان في صفر سنة 333هـ/943م واستباحها وقتل خليلا وأمن شيوخها ورفع النهب عنهم بعد التقرير والعتب وعلى شرط قتال أولياء الشيعة⁽¹⁶⁾.

حاول ميسور إنقاذ القيروان فزحف على رأس قوات من المهديّة أكثرها من بني كملان الهواريين (سكان أهل القيروان) وأثناء هذا الزحف فرّ عنه بنو كملان وانضموا إلى أبي يزيد وشجعوه على لقاء ميسور فزحف بهم إليه والتقى الطرفان عند مكان يقال الأخوان دارت بينهما معركة استمات فيها أبو يزيد وأصحابه النكار فانهزم ميسور وقتله بنو كملان وأرسل رأسه إلى القيروان ثم إلى المغرب⁽¹⁷⁾.

المرحلة الثانية:

قويت شوكة أبي يزيد بمن انضم إليه من قبائل هوارية ومالكية القيروان فاتجه ببصره إلى المدن الأخرى، فأرسل سرية من رجاله إلى سوسة شمال شرق القيروان فدخلوها عنوة " وقتلوا الرجال وسبوا النساء واحرقوها وشقوا فروج النساء وبقروا البطون، حتى لم يبق موضع في إفريقية معمور ولا سقف مرفوع ومضى جميع من بقي إلى القيروان حفاة عراة ومن خلص من السبي مات جوعا وعطشا⁽¹⁸⁾.

بعد سقوط سوسة أصبحت المهديّة العاصمة مهددة، ولم يستطع القائم فعل شيء فخندق حول المهديّة، وكتب إلى زيري بن مناد شيخ

صنهاجة وإلى شيوخ كتامة والقبائل الأخرى يحثهم على الاجتماع بالمهدية للدفاع عنها (19).

سمع أبو يزيد بتأهب صنهاجة وكتامة وغيرها من القبائل لنجدة القائم فرحل عن القيروان على خمسة عشر ميلا منها، فأرسل سرايا إلى نواحي المهدية، أتت على الأخضر واليابس " انتهبت ما وجدت وقتلت من أصابت " (20).

أراد القائم أن ينتهز فرصة تفرق جيوش أبي يزيد في السلب والنهب فأرسل إليه جيوشه والتقت به عند وادي الملح فبدرها أبو يزيد ولم يرد ملاحقتها بل فضل أن يستجمع قواته لاقتحام المهدية نفسها، فأرسل إلى ابنه الفضل في القيروان يطلب المدد فوصله على جناح السرعة على رأس قوات من القيروان، وأخذ مكانه على بعد ستة أميال من المهدية (ثرنوط) ومنها حاول عدة مرات غزو المهدية. (21)

ففي المرة الأولى اقتحم أبو يزيد البحر واجتاز سور المدينة ووقف على المصلى وأصبح بينه وبين المهدية رمية سهم، لكن انشغال أصحاب أبي يزيد بالفنائم واستبسال كتامة وصنهاجة في الدفاع عن المهدية أدى إلى تحول خطير في الموقف، فقد فشل في اقتحام المدينة، بل وكاد أن يقتل هو نفسه لولا أن أحد أصحابه هدم حائطا فخرج منه (22).

بعد الهزيمة رحل أبو يزيد إلى ثرنوط وخندق حولها، وأرسل إلى نفوسة والزاب وأقاصي المغرب يطلب المدد فلما وصلت الإمدادات عاد إلى المهدية فحاصرها للمرة الثانية واقتحم بنفسه حتى وصل باب المهدية وكاد أن يقتل أيضا لولا أن خلصه أحد أصحابه، (23) وعاد

يائسا فأرسل إلى واليه على القيروان يأمره بإرسال قوة من أهلها فأنجده بسرعة فكرر المحاولة للمرة الثالثة، لكنه هزم وقتل كثير من أصحابه.⁽²⁴⁾ وفي آخر شوال سنة 333هـ/ قام بمحاولته الرابعة وشدّد الخناق عليها حتى أكل الناس الدواب والميتة، وخرج من بها من العامة والتجار، ولم يبق بها إلا الجند.⁽²⁵⁾

اشتد البلاء على القائم، فأمر كتامة بمهاجمة قسنطينة أهم مدن إفريقية وأكثرها حصانة ومنعة، فاضطر لذلك أبو اليزيد أن يرسل جزءا من جيشه من ورفجومة وغيرها، هزم به كتامة وحال دون سقوط قسنطينة.⁽²⁶⁾ لكنه من ناحية أخرى لم يحل دون تفرق جيوشه عنه، فقد فارقه الاباضية الوهبية والمالكية ولم يبق معه سوى أهل الأوراس (زناتة وهوارة) وبني كملان.⁽²⁷⁾ بعد هذه المقاطعة طلب أبو يزيد الإمداد من نكار الأوراس فحين وصله ضرب الحصار على المهديّة من جديد، فاضطر الكثير من أهلها للرحيل إلى صقلية ومصر وطرابلس وبلاد الروم.⁽²⁸⁾ وكادت المهديّة تسقط في أيدي أبي يزيد لولا استبسال فرسان كتامة في الدفاع عنها فقد تخير الكتاميون منهم مائتي فارس وحملوا حملة رجل واحد على أصحاب أبي يزيد فقتلوا منهم كثيرا وأسروا عددا مماثلا وكادوا يصلون إلى أبي يزيد.⁽²⁹⁾ وفي هذا الوقت الحرج، تغادر جماعة أخرى أبا يزيد (خوفا منه لعداوة كانت بينه وبينهم) وتنظم إلى القائم ولم يصمد معه إلا هوارة أوراس وإفريقية (بني كملان).⁽³⁰⁾

المرحلة الثالثة:

فشل أبو يزيد في اقتحام المهدية بعد حصار دام فترة طويلة، وفارقه بعض أنصاره من الاباضية الوهبية ومالكية القيروان ولم يبق معه سوى قبيلة هواره كما سبق القول وقد اختلف المؤرخون حول أسباب تصدع هذه الرابطة بينه وبين أهل القيروان فيردها البعض إلى غدر أبي يزيد بالقيروانيين وتركهم هدفاً لسيوف الشيعة خوفاً من منافستهم له وظفرهم بالسلطة دونه - عندما أصبح سقوط المهدية قريباً - بينما يردها البعض الآخر إلى طول الحصار وبأسهم من افتتاح المهدية وانتهاء الأسلاب والغنائم التي كانوا قد تعودوها، فلما لم يبق ما ينهب أو يسلب تفرقوا عنه وتركوه مع قبيلة هواره يواجه جيوش القائم.

ومهما يكن فقد اضطر أبو يزيد لترك معسكره غنيمة لجيوش القائم ويَمَم وجهه شطر القيروان فوصلها في صفر 334هـ فوجدها قد ارتدت، كما ارتدت معظم المدن الإفريقية الأخرى كتونس وباجة ودخلت في طاعة القائم⁽³¹⁾.

كان على أبي يزيد أمام هذه الوضعية الجديدة أن يعمل كل ما في وسعه لاسترداد نفوذه فزحف أولاً إلى على تونس في صفر 334هـ، فاستردها، ثم سرعان ما فقدتها بعد هزيمة اصطفورة، واستعادها ابنه أيوب ثانية، كما استعاد باجة وأحرقها⁽³²⁾.

بعد تفاقم الوضع واستفحال خطر أبي يزيد من جديد، استعان القائم بعامله على المسيلة علي بن حمدون لنجدة باجة، واتجه هو إلى تونس فنجح في طرد أبي يزيد عنها إلى القيروان⁽³³⁾.

وصل علي بن حمدون، فاعترضه أيوب عند باجة فهزمه وفر إلى بلطة حيث لقيه أيوب مرة أخرى، فكان النصر في البداية سجّالا، وأخيرا تمكن أيوب من هزيمة علي بن حمدون الذي فر إلى بلاد كتامة، حيث كتب إلى قبائل كتامة ونفزة ومزاةة وغيره للاجتماع حول قسنطينة ووجه هو عسكريا إلى هواة (وهي الساعد الأيمن لأبي يزيد) فوطأها وغنم أموالها. وأثناء حصار هواة بلغ الخبر أبا يزيد فسير إليهم جيوشا عظيمة يتبع بعضها بعضها فدارت بينهما حروب كثيرة كان النصر فيها كلها لعلي بن حمدون⁽³⁴⁾.

بعد هذه الهزائم التي حلت بجيوش أبي يزيد، صمم على التآمر لكرامته، فأعد جيشا ضخما بلغ 80 ألف نسمة مزودا بآلات الحصار والمنجنيقات واتجه نحو سوسة في جمادى الآخرة سنة 334هـ وضرب عنها الحصار فقتل من أهلها خلقا كثيرا وأثناء الحصار توفي القائم وتولى ابنه المنصور، وكنتم خبر موت أبيه وأرسل جيشا وأسطولا بقيادة رشيق ويعقوب إلى سوسة فوجد أبا يزيد قد أعد العدة لإحراق السور وتدمير المدينة، فاشتدت الحرب بينهما، فأشعل رشيق النيران - في الحطب التي جمعها أبو يزيد - فاضطرب جيش أبي زيد وانهزم وفرّ هاربا إلى القيروان⁽³⁵⁾.

دخل أبو يزيد القيروان، فوجد أهلها قد ثاروا عليه ومنعوه من الدخول، فاضطر أن يرحل عنها مع زوجته (أم يعقوب) وأصحابه إلى سببية وهي على مسافة يومين من القيروان⁽³⁶⁾.

قدم المنصور إلى القيروان فأمن أهلها، وشكرهم، وأخذ ما وجده من حرم أبي يزيد وعياله وسيرهم إلى المهديّة⁽³⁷⁾. بينما سير جيشا إلى أبي يزيد الذي كان قد جمع جمعا آخر قرب القيروان، فدارت بينهما

حروب، تمكن خلالها أبو يزيد من إلحاق عدة هزائم بجيوش القائم، وقطع الاتصال بين المهديّة وسوسة والقيروان، وأرسل إلى المنصور يطلب منه تسليم أولاده وعياله ويعلن دخوله تحت طاعته، فكان له ما أراد، غير أنه تراجع في الحال وقال إنما وجههم خوفاً مني⁽³⁸⁾.

أخلف أبو يزيد وعده، فخرج إليه المنصور بنفسه "فجري بينهم قتال ما سُمع بمثله" انهزم فيه أبو زيد وقتل من أصحابه ما لا يحصى، فقد بلغ حسب رواية ابن الأثير ما أخذه أطفال أهل القيروان من رؤوس القتلى عشرة آلاف رأس⁽³⁹⁾. بعد هذه الهزيمة اتجه أبو يزيد إلى تاه مديت وصمم المنصور على القضاء عليه نهائياً فسار في إثره فوجده قد اتجه إلى باغية وحاصرها وعلى وشك أن يفتحها، فلما قرب منه هرب فكان كلما قصد موضعاً سبقه إليه المنصور، أخيراً قرر الفرار إلى بلاده السودان فأبّت عليه هواره، فاتجه إلى جبل كتامة وعجيسة فتحصن بها⁽⁴⁰⁾. ولحقه المنصور فشدد الحصار عليه واشتد القتال بينهما حتى ظن الناس أنه الفناء، فاعتصم أبو يزيد بقلعة كتامة، وتخلف عنه هواره ومن مع أبي يزيد فطلبوا الأمان فأمنهم المنصور وسار إلى القلعة وأضرم فيها النيران، وحاول أبو يزيد الهروب فوقع أسيراً ومات متأثراً بجراحه في المحرم سنة 366هـ⁽⁴¹⁾.

وعلى الرغم من انتهاء ثورة أبي يزيد فإن هواره أوراس لم تخضع للحكم الفاطمي، وثارت مع ولده أيوب، وبعد مقتل أيوب بن أبي يزيد ظلت على ثورتها إلى أن جهز لها المعز جيشاً قوياً بقيادة بلكين بن زيري فهزم جموعها عند سفح غزالة قرب باغية وشتتها في بلاد الزاب وبلغت فلولها أرض السودان⁽⁴²⁾.

الهوامش

هوامش الفصل الأول:

1. الطاهر احمد الزاوي تاريخ الفتح العربي في ليبيا ط2 دار المعارف مصر 1963 ص 16
2. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان، العبر وديوان المبتدأ والخبر مج6، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر 1968 ص192 والبلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان 1 مكتبة النهضة المصرية ص265
3. ابن خلدون المصدر السابق 6 ص192
4. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان، المصدر السابق مج6 ص 282.
5. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان، المصدر السابق مج6 ص 282.
6. ابن رسته: الأعلام النفيسة 7، مطبعة بريل ليدن، 1891 ص246.
7. التيجاني: الرحلة ص 216.
8. المسعودي: أبو الحسن على بن الحسين بن علي ت 346 هـ (957-958م): مروج الذهب ومعادن الجوهر ج 2 بيروت. ص 96.
9. عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب 1، 1962 ص 314.
10. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان ، المصدر السابق مج6 ص ص 283، 284 وابن منصور المرجع السابق 1 ص ص 314، 316.

11. البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز: المغرب في وصف بلاد إفريقيا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ط2 الجزائر 1911 ص 144.

12. ابن حزم الظاهري أبو محمد علي بن أحمد: ت 456هـ (1064م): جمهرة أنساب العرب: تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف مصر 1962. ص 446.

13. ابن خلدون: المصدر ص 284، ص 288. ومبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، الجزائر 1976 ص 597.

14. دائرة المعارف الإسلامية: ص 305

15. نفس المصدر والصفحة

16. نفس المصدر والصفحة

17. نفس المصدر ص 306

18. ابن خلدون: العبر 6 ص 9

19. دائرة المعارف الإسلامية ص 603 ابن خلدون العبر 6 ص 290.

20. دائرة المعارف الإسلامية ص 306.

21. نفس المصدر ص 306، ابن خلدون: العبر 6 ص 290.

22. الرحلة: التيجاني ص 412 وما بعدها

23. دائرة المعارف الإسلامية ص 306.

24. نفس المصدر والصفحة.

25. دائرة المعارف الإسلامية ص 306.
26. نفس المصدر والصفحة.
27. نفس المصدر والصفحة.
28. نفس المصدر 305.
29. ابن خلدون: العبر 6 ص 291 ، ص 292.
30. دائرة المعارف الإسلامية 305.
31. محمد إسماعيل: المرجع السابق ص 210.
32. دائرة المعارف الإسلامية ص: 306.
33. نفس المصدر والصفحة.
34. نفس المصدر والصفحة.
35. نفس المصدر والصفحة.
36. نفس المصدر والصفحة.
37. نفس المصدر والصفحة.
38. نفس المصدر والصفحة.
39. دائرة المعارف الإسلامية ص 306.
40. نفس المصدر والصفحة.
41. نفس المصدر والصفحة.
42. نفس المصدر والصفحة.

43. نفس المصدر والصفحة.
44. نفس المصدر والصفحة.
45. ابن خلدون: العبر 6 ص 288.
46. الكعك : موجز تاريخ الجزائر العام مكتبة العرب تونس
1344هـ ص 448.
47. محمد الثابت الفتدي وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية مج 3،
ص 123.
48. الجيلالي عبد الرحمان: الاصاله عدد خاص بالملتقى 12 باتنة
ص 105.
49. البكري: المصدر السابق 144.
50. الملي: المرجع السابق 521.
51. ابن خلدون: المصدر السابق 6 ص 235
52. محمد إسماعيل: المرجع السابق ص 121.
53. نفسه ص 130.
54. ابن خلدون: المصدر السابق ص 293.
55. دائرة المعارف الإسلامية ص 307.
56. نفس المصدر والصفحة
57. ابن خلدون: المصدر السابق ص 204.
58. ابن منصور: قبائل المغرب ج 1 ص 317.

59. دائرة المعارف الإسلامية ص 307.
60. ابن منصور: المرجع السابق ص 317.
61. دائرة المعارف الإسلامية ص 307.
62. البكري: المغرب في وصف بلاد إفريقية والمغرب ص 59.
63. دائرة المعارف الإسلامية ص 307.
64. دائرة المعارف الإسلامية ص 307.
65. دائرة المعارف الإسلامية ص 307.
66. نفس المصدر ص 308.
67. نفس المصدر والصفحة
68. نفس المصدر والصفحة
69. نفس المصدر والصفحة
70. نفس المصدر والصفحة
71. نفس المصدر والصفحة
72. نفس المصدر والصفحة
73. نفس المصدر والصفحة
74. نفس المصدر والصفحة
75. نفس المصدر والصفحة
76. نفس المصدر والصفحة

77. دائرة المعارف الإسلامية ص 308.
78. نفس المصدر و الصفحة.
79. ابن حزم: الجمهرة ص 500.
80. دائرة المعارف الإسلامية ص 308.
81. نفس المصدر و الصفحة
82. ابن خلدون: العبر 7 ص 10 ، المقرئزي: البيان والإعراب ص 134.
83. القلقشندي: نهاية الإرب ص 441.
84. المقرئزي: المصدر السابق 131.
85. القلقشندي: المصدر السابق ص 242.
86. المقرئزي: المصدر السابق ص 136
87. المقرئزي: المصدر السابق ص 136 وما بعدها.

هوامش الفصل الثاني:

1. حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب - مكتبة الآداب بالجماميز
1947 ص 50
2. نفسه ص 50 ، لقبال موسى: المرجع السابق ص 76.
3. ابن خلدون المصدر السابق ص 220.
4. نفسه: ص ص 220 ، 286.
5. محمد علي دبور: المرجع السابق ج3 ص 508.
6. نفسه: ص 509.
7. ابن خلدون: العبر ص ص 286 ، 287.
8. نفسه: ص 287.
9. نفسه: ص 287.
10. عبد اللطيف محمود البرغوثي: التاريخ الليبي القديم ط1 دار
صادر بيروت ص 497.
11. ابن خلدون: العبر ص 290.
12. التيجاني: الرحلة ص 214.
13. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 127.
14. ابن حوقل النصيبي: أبو القاسم محمد: كتاب صورة الأرض
ط2 بريل ليدن 1967م ص 86. البكري: المصدر السابق ص 60.
الإدريسي: المصدر السابق ص 59.

15. المقرئزي: البيان والإعراب ص 154.
16. احمد صفر:مدنية المغرب العربي في التاريخ ج 1 ط1 بوسلامة تونس ص ص 388 389.
17. ناصر سعدوني: الاصاله عدد خاص بالملتقى 12 باقة ص 138.
18. عبد اللطيف محمود البرغوثي: التاريخ الليبي القديم ط1 بيروت 1971 ص 497.
19. نفسه: ص 331.
20. محمد علي دبوز: المرجع السابق ج 3 ص 348.
21. نفسه: ص 347.
22. نفسه: ص ص 347، 348.
23. محمد علي دبوز: المرجع السابق ص 493 نقلا عن الإدريسي:نزهة المشتاق دار الكتب.
24. ابن خلدون:العبر 6 ص 287.
25. التيجاني : الرحلة ص 216.

هوامش الفصل الثالث:

1. لقبال موسى: المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ط1 ، مطبعة البعث 1969 ص211.
2. ابن خلدون: المصدر السابق 6 ص 222.
3. محمود إسماعيل: المرجع السابق، 53، ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله: فتوح إفريقية والأندلس، دار الكتاب اللبناني 1964 ص96.
4. ابن عبد الحكم: المصدر السابق 97.
5. نفسه، 97.
6. ابن عبد الحكم: المصدر السابق 101.
7. نفس المصدر والصفحة
8. نفسه ص ص 101، 102.
9. نفسه 102.
10. ابن عبد الحكم: المصدر السابق 102.
11. محمود إسماعيل: المرجع السابق 54.
12. محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير 2، دار إحياء الكتب العربية 1962 ص283.
13. لقبال موسى: المغرب الإسلامي، 221، 222.
14. لقبال : المرجع السابق 222.

15. دبوز: المرجع السابق 2، 285.
16. دبوز: المرجع السابق 2، 286.
17. دبوز: المرجع السابق 2- 286، 287.
18. دبوز: المرجع السابق 2- 287.
19. دبوز" المرجع السابق 2- 288.
20. ابن خلدون: المصدر السابق 6. دبوز: المرجع السابق 2- 288.
21. ابن عبد الحكم: المصدر السابق 103.
22. دبوز: المرجع السابق 2- ص 288 نقلا عن النويري.
23. دبوز: المرجع السابق 2- ص 289 نقلا عن النويري.
24. ابن خلدون: المصدر السابق 6- ص 223.
25. لقبال: المرجع السابق. ص 223 وما بعدها.
26. محمود إسماعيل: المرجع السابق 80.
27. محمود إسماعيل: المرجع السابق 79، 80.
28. لقبال: المرجع السابق 231.
29. ابن عبد الحكم: المصدر السابق 106.
30. ابن خلدون: المصدر السابق 6، 223.
31. لقبال : المرجع السابق 232، وابن عبد الحكم : المصدر السابق
- 106
32. ابن عبد الحكم: المصدر السابق 107.

33. نفس المصدر والصفحة.
34. ابن عبد الحكم: المصدر السابق 107.
35. نفسه: 108.
36. نفس المصدر والصفحة.
37. محمود إسماعيل: المرجع السابق 63.
38. نفسه: 64.

هوامش الفصل الرابع

1. أحمد الزاوي: المرجع السابق ص 122.
2. أبو زكرياء: يحيى بن أبي بكر ت 741هـ، سير الأئمة وأخبارهم، المكتبة الوطنية 1979 ص 37.
3. أبو زكرياء: المصدر السابق ص 38.
4. نفسه: ص 37.
5. دبوز: المرجع السابق ج 3 ص 221.
6. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 65.
7. ابن الاثير: الكامل 4، ص 281.
8. أبو زكرياء: المصدر السابق ص 38.
9. ابن الاثير: الكامل 4، ص 281.
10. ابن خلدون: المصدر السابق 6، ص 224.
11. ابن الاثير: الكامل 4، ص 281.
12. ابن الاثير: الكامل 4 ص 281.
13. أحمد الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص 135.
14. نفس المرجع والصفحة.
15. دبوز: المرجع السابق 3، ص 7.
16. المرجع السابق ص 8، 9.
17. ابن الاثير: المصدر السابق 4، ص 281.

18. ابن الاثير: المصدر السابق 4، 281.
19. أبو زكرياء: المصدر السابق ص 44.
20. ابن الاثير: المصدر السابق 4، ص 281.
21. ابن الاثير: المصدر السابق 4، ص 281، أبو زكرياء: المصدر السابق ص 441.
22. أبو زكرياء: المصدر السابق ص 45، ابن الاثير: المصدر السابق ص 281، دبوز: المرجع السابق 3 ص 18.
23. ابن الاثير: المصدر السابق 4، ص 81، دبوز: المرجع السابق 3 ص 18.
24. دبوز: المرجع السابق 3 ص 240.
25. ابن الاثير: المصدر السابق 4 ص 281.
26. نفس المصدر و الصفحة.
27. نفسه ص 281.
28. دبوز: المرجع السابق ص 139.
29. ابن خلدون: المصدر السابق 6 ص 266.
30. محمود اسماعيل: المرجع السابق ص 66 والبلاذري: المصدر السابق 1 ص 275.
31. أبو زكرياء: سير الأئمة وأخبارهم ص 48.
32. دبوز: المرجع السابق 3 ص 58.

33. لقبال: المرجع السابق 236 . ودبوز: المرجع السابق 3 ، 59 .
34. محمود اسماعيل: المرجع السابق 67 . دبوز: المرجع السابق 59.
35. دبوز: المرجع السابق 61 .
36. ابن خلدون: المصدر السابق 6. 226.
37. لقبال: المرجع السابق 237 .
38. محمود إسماعيل: المرجع السابق 68.
39. دبوز: المرجع السابق 3 ص 65 نقلا عن النويري .
40. نفس المرجع والصفحة. عن النويري .
41. محمود إسماعيل: المرجع السابق: 68 ، ودبوز : المرجع السابق 68
42. البلاذري: المصدر السابق 1 ، 275 .
43. دبوز: المرجع السابق 3 ، 68 .
44. لقبال: المرجع السابق 238 . ودبوز : المرجع السابق 69.
45. لقبال: المرجع السابق 238 ، 239 . ودبوز: المرجع السابق 69 ، 70.
46. لقبال: المرجع السابق 239 ، دبوز، المرجع السابق 70 ، 71 .
47. أبو زكرياء :سير الأئمة وأخبارهم ص52 ، لقبال: المرجع السابق 239.
48. محمود إسماعيل: المرجع السابق 68 ، دبوز: المرجع السابق 74.

49. محمود إسماعيل: المرجع السابق 69 ، دبوز: المرجع السابق

74.

50. محمود إسماعيل: المرجع السابق 69 ، دبوز: المرجع السابق 75.

51. لقبال: المرجع السابق 239 ، محمود إسماعيل: المرجع السابق 69 ، دبوز: المرجع السابق 75.

52. لقبال المرجع السابق 239 ، محمود إسماعيل: المرجع السابق 69 ، دبوز: المرجع السابق 76.

• (لما قرب يزيد بن حاتم من طرابلس خرج إليه أبو حاتم ومن تبعه من المسلمين إلى موضع يقال له جنى ، فمدت قبيلة من البربر من هواره يقال لها مليلة يزيد بن حاتم ، فسأل أبو حاتم عمن أعانه عليه من البربر ، ومن كان مع يزيد ، فقالوا له ليس معه خلا مليلة ، فقال أبو حاتم ، اللهم ذل مليلة ، فبلغت فيهم دعوة أبي حاتم ، فاستجاب الله فيهم وكذلك كانوا بين سائر البربر) أنظر سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا ص 52.

53. لقبال: المرجع السابق 240 ، محمود إسماعيل ، المرجع السابق

69.

54. ابن خلدون: المصدر السابق 6 ص 286 ، محمود إسماعيل ، المرجع السابق ص 69 ، 70.

55. لقبال: المرجع السابق 241 .

56. نفس المرجع والصفحة .

هوامش الفصل الخامس:

1. محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب ص 109.
2. المرجع السابق، ص 109، 110.
3. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 110، دبوز: المرجع السابق ص 261.
4. دبوز: المرجع السابق ص 267.
5. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 111 دبوز: المرجع السابق ص 287، 288.
6. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 127.
7. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 127.
8. الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي ص 126.
9. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 127.
10. لقبال: دوركتامه ص 76، دبوز: المرجع السابق ص 518.
11. دبوز: المرجع السابق ص 366.
12. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 121.
13. دبوز: المرجع السابق ص 231، نقلا عن ابن الصغير.
14. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 121.
15. دائرة المعارف الإسلامية (بالفرنسية) ص 307.
16. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 130.

17. نفسه ص 128.
18. نفسه ص 129.
19. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 128.
20. نفسه ص 128.
21. نفسه ص 130.
22. نفسه ص 129، 130.
23. نفسه ص 130.
24. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 130.
25. نفسه: ص 130.
26. دبوز: المرجع السابق ص 584.
27. أحمد الزاوي: المرجع السابق ص 152.
28. دبوز: المرجع السابق ص 510.
29. ابن خلدون: العبر 6 ص 286، دبوز: المرجع السابق ص 512.
30. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 143.
31. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 143، 144.

هوامش الفصل السادس:

1. إسماعيل: المرجع السابق 176.
2. نفس المرجع والصفحة .
3. ابن خلدون: العبر 6 ص 287 .
4. أحمد الزاوي: المرجع السابق 184 .
5. نفس المرجع والصفحة .
6. أحمد الزاوي: المرجع السابق 184.
7. نفسه: 184 ، 185.
8. ابن خلدون: العبر 7 ص 28.
9. نفس المصدر والصفحة
10. ابن خلدون: المصدر السابق ص 28.
11. أبو زكرياء: السير ص 117.
12. ابن خلدون: العبر 7 ص 28.
13. نفس المصدر والصفحة.
14. ابن الاثير: الكامل 6 ص 303.
15. نفسه: ص 304.
16. نفسه: ص 304.
17. نفسه: ص 304.

18. نفسه: ص304.
19. ابن الاثير: الكامل 6 ص305.
20. نفسه: ص 305.
21. نفسه: ص305 ، محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 183.
22. ابن الاثير: المصدر السابق ص 305.
23. نفسه: ص 305.
24. ابن الاثير: الكامل 6 ص 305.
25. نفسه: ص 305.
26. نفسه: ص 306.
27. نفسه: ص 306.
28. نفسه: ص 306.
29. نفسه: ص 306.
30. نفسه: ص 306.
31. ابن الاثير: المصدر السابق ص 306 ، محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 185.
32. محمود إسماعيل: المرجع السابق ص 185.
33. نفسه: ص 185.
34. ابن الاثير: الكامل 6 ص 308.
35. نفس المصدر والصفحة .

36. نفس المصدر والصفحة .
37. نفس المصدر والصفحة .
38. نفس المصدر ص 309.
39. نفس المصدر ص 309.
40. ابن الاثير : نفس المصدر ص 310 .
41. نفسه ص 311 .
42. الميلي: المرجع السابق ص 521.

الخاتمة

لقد حاولت أن القي بعض الأضواء على هذه القبيلة من القبائل المغربية البربرية العتيقة، وتحملت من أجل ذلك الكثير من الصعوبات والمشاق، تعود في مجملها إلى قلة المراجع، وصعوبة التنقل إليها.

وإن لم أحقق كل ما أصبو إليه، فقد حققت على الأقل أحد أهداف البحث العلمي التاريخي (شيء متفرق فجمعته) وقد لا يخلو عملي هذا من بعض النقائص، وأني أعترف أن هناك نقاطا أخرى جديرة بالبحث ولكن قلة المراجع، وصعوبة التنقل، وظروف العمل جعلت عملي يتم في شكله هذا، وكلما ارجوه أن أكون قد وضعت بعلمي هذا لبنة جديدة تضاف إلى ما كتب حول القبيلة.

والله ولي التوفيق

الملاحق

1. حول أصل البربر/

وأما إلى من يرجع نسبهم من الأمم الماضية، فقد اختلف النسابون في ذلك اختلافا كبيرا وبحثوا فيه طويلا، فقال بعضهم: أنهم من ولد إبراهيم عليه السلام من نقشان ابنه، وقال آخرون: البربر يمنيون، وقالوا أوزاع من اليمن، وقال المسعودي بن غسان وغيرهم تفرقوا عندما كان سيل العرم. وقيل: تخلفهم أبرهة ذو المنار بالمغرب، وقيل من لحم وجدام كانت منازلهم بفلسطين وأخرجهم منها بعض ملوك فارس، فلما وصلوا إلى مصر منعهم ملوك مصر من النزول فعبروا النيل وانتشروا في البلاد.... واعلم أن هذه المذاهب كلها مرجوحة وبعيدة عن الصواب فأما القول بأنهم من ولد إبراهيم فبعيد.... وأما القول بأنهم من ولد جالوت أو العماليق، وإنهم نقلوا من ديار الشام فانتقلوا فقول ساقط، يكاد يكون من أحاديث خرافة... وأما القول أيضا بأنهم من حمير من ولد النعمان أو من مضر من ولد قيس بن عيلان فمنكر من القول وقد أبطله إمام النسابين والعلماء أبو محمد بن حزم...

والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح وأن اسم أبيهم مازيغ... فلا يقعن في وهمك غير هذا... وأما نسبة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب... مثل هواره يزعمون أنهم من كنده من السكاسك... والحق الذي شهد

به المواطن والعجمة أنهم بمعزل عن العرب إلا ما تزعمه نسبة العرب
في صنهاجة وكتامة ، وعندي أنهم من إخوانهم والله أعلم. (1)

2. بعض البطون البربرية التي لحقت بهوارة نتيحة المصاهرة:

وأما شعوب البتر، وهم بنو مادغيس الأبتري فيجمعهم أربعة أجدام،
أداسة، ونفوسة وضرية وبنو لوا الأكبر وكلهم بنو زحيك ابن
مادغيس، فأما أداسة بنو أداس بن زحيك فبطونهم كلها في هوار،
لأن أم أداس تزوجها بعد زحيك أوريج ابن عمه برنس والد هوار،
فكان أداس أخا لهوار، ودخل نسب بنيه كلهم في هوار وهم
سفارة واندارة وهنزولة وضرية وهداغة واوطيطة وترهتة، هؤلاء كلهم
بنو أداس بن زحيك ابن مادغيس. وهم اليوم في هوار (2).

3. حول انتشار الفكر الخارجي وأثر ذلك على استقرار المنطقة:

... وذكر أبو محمد بن أبي يزيد: أن البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة
من طرابلس إلى طنجة، ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز طارق وموسى
بن نصير إلى الأندلس بعد أن دوخ المغرب وأجاز معه كثيرا من رجالات
البربر وأمرائهم برسم الجهاد، فاستقروا هنالك من لدن الفتح فحينئذ
استقر الإسلام في المغرب وأذعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمات
الإسلام وتناسوا الردة.

(1) ابن خلدون: العبر 6، ص 181-192.

(2) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر مج 6 ص 178 ص 179.

ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها ولقنوها من العرب
الناقليها من منبعها بالعراق وتعددت طوائفهم و تشعبت طرقها من
الاباضية والصفورية...

وفشت هذه البدعة واعقدها رؤوس النفاق من العرب وجراثيم الفتنة
من البربر ذريعة إلى الانتزاع على الأمر فاختلفوا في كل جهة ودعوا إلى
قائدهم طغام البربر تتلون(يتلون) عليهم مذاهب كفرها، ويلبسون
الحق بالباطل فيها إلى أن رسخت فيهم كلمات منها، ووشجت بينهم
عروق من غرائسها، ثم تطاول البربر إلى الفتك بأمراء العرب...⁽¹⁾

4- حول انتفاضة هواره إفريقية وما لحقها من خسائر:²

... وبلغ الخبر إلى هشام ابن عبد الملك بعث حنظلة ابن سفيان
الكلبي، فقدم القيروان سنة أربع وعشرين ومائه وهواره يومئذ خوارج
على الدولة، منهم: عكاشة ابن أيوب وعبد الواحد ابن يزيد في قومها.
فتارت هواره ومن تبعهم من البربر فهزمهم حنظلة ابن المعز بظاهر
القيروان بعد قتال شديد، وقتل عبد الواحد الهواري وأخذ عكاشة
أسيراً، وأحصيت القتلى في هذه الواقعة فكانوا مائه وثمانين ألفاً.
وكتب بذلك حنظلة إلى هشام وسمعها ابن الليث فقال: ما غزوة كنت
أحب أن أشهدا بعد غزوة بدر أحب إلي من غزوة القرن والأصنام.⁽²⁾

(1) ابن خلدون: المصدر نفسه ص ص 220 221.
(2) ابن خلدون: المصدر نفسه ص ص 222-223.

فهرس المصادر والمراجع

- 01- أحمد صفر: مدينة المغرب العربي في التاريخ - ج 1 دار النشر بوسلامة تونس.
- 02- إحسان عباس: العرب في صقلية - دار المعارف مصر 1959م.
- 03- الإدريسي: أبو عبد الله محمد ت 560هـ - 1164م، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية قطعة مأخوذة من نزهة المشتاق، نشرها هنري بريس الجزائر 1957م.
- 04- البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت 487هـ - 1094م، المغرب في وصف افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك نشرة البارون دوسلان ط 2 الجزائر 1911م.
- 05- التجاني: الرحلة (706هـ - 707هـ)
- 06- الحبيب الجناحي: المغرب الإسلامي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية تونس.
- 07- ابن حزم الظاهري: أبو محمد علي بن أحمد ت 465هـ - 1064م: جمهرة أنساب العرب تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون - دار المعارف مصر 1962م.
- 08- حسين مؤنس: فتح العرب للمغرب، مكتبة الآداب بالجماميز مصر 1947م.
- 09- ابن حوقل النصيبي: أبو القاسم محمد ت بعد 367هـ - 977م: كتاب صورة الأرض ط 2 مطبعة بريل ليدن 1967م.

10- ابن خلدون: أبو يزيد عبد الرحمان ت 808هـ - 1405م، كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر 6،7 دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر 1959م.

11- ابن رسته ت بعد 290هـ - 903م، الاعلاق النفيسة 7 مطبعة بريل ليدن 1891م.

12- الزاوي أحمد الطاهر: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ط2 دار المعارف القاهرة 1963م.

13- عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب ج 1 الرباط 1962م.

14- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ج1 ط3 1971م. الاصاله عدد خاص، الملتقى 12 للفكر الإسلامي، باقة.

15- عبد اللطيف محمود البرغوثي: التاريخ الليبي القديم ط1 دار صادر بيروت.

16- ابن عذارى: أبو عبد الله محمد المراكشي، من علماء نهاية القرن 7هـ - 13م، البيان المغرب في أخبار المغرب، تحقيق ج.س.إ. ليفي بروفنسال 1، 2 دار الثقافة بيروت.

17- ابن غلبون أبو عبد الله محمد بن خليل ت 133هـ/1720- 1721م: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار المسمى تاريخ طرابلس الغرب، تحقيق ونشر الطاهر احمد الزاوي، القاهرة 1930م.

18- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي 821هـ - 1418م: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق ونشر إبراهيم الأبياري ط1

القاهرة 1959م، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ج4 دار الكتب
1915م.

19- الكعاك عثمان: موجز التاريخ العام للجزائر مكتبة العرب
تونس 1344هـ، موجز تاريخ البربر ط1 1956م.

20- لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية الجزائر
1977م.

21- لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج
نويهض تعليق شكيب أرسلان مج2 دار الفكر بيروت 1994م.

22- مبارك الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم
وتصحيح محمد الملي الجزائر 1976م.

23- محمد ثابت الفندي وآخرون: دائرة المعارف الإسلامية مج3.

24- محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين ط1 1964م.

25- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير 1، 2، 3 دار إحياء الكتب
العربية 1964م.

26- محمود اسماعيل: الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت 1976م.

27- محمود خطاب شتيت: قادة فتح المغرب العربي ج1 ط1 بيروت
1966م.

28- المقرئزي: تقي الدين أحمد بن علي ت 845هـ - 1442م: البيان
والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق ونشر عبد المجيد
عابدين ط1 القاهرة 1961م.

29- المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ت346هـ /
957م - 958م، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج2 بيروت.

30- الاسطخري: كتاب المسالك والممالك.

31- ناصر الدين سعيدوني: الاصاله عدد خاص بالملتقى 12 للفكر
الإسلامي باتنة.

32- دائرة المعارف الإسلامية (بالفرنسية) طبعة حديثة ج3.

محتويات الكتاب

5	الإهداء.....
7	مقدمة.....
9	الفصل الأول: نسب القبيلة ومضاربها
11	تمهيد.....
13	نسبها.....
15	فروعها.....
15	1- ملد
16	2- هواره.....
16	3- مقرر.....
17	4- قلدن.....
18	مضاربها.....
19	في المغرب الأدنى
19	1- برقه
19	2- طرابلس
21	3- فزان
22	في افريقيا (تونس).....
24	في المغرب الأوسط

24	1. ضواحي تبسة
24	2. الأوراس
25	3. جبل هواره
26	4. برج الغدير
27	5. الهقار
28	المغرب الأقصى
30	الأندلس
31	جزيرة صقلية
31	مصر والسودان
33	الفصل الثاني: أوضاعها
35	1- الوضعية السياسية
38	2- الوضعية الاقتصادية
42	3- الوضعية الاجتماعية
43	الفصل الثالث: ثوراتها على الأمويين
45	تمهيد
46	1- ثورة إفريقية
47	بداية الثورة
49	ولاية حنظلة بن صفوان ومهمة القضاء على ثورة إفريقية
49	استعانة عكاشة بعبد الواحد

50	استتجاد عبد الواحد بصفوية المغرب الأوسط والأقصى.....
50	زحف عكاشة وعبد الواحد إلى حنظلة
51	وقعة القرن
52	زحف عبد الواحد ومعركة باجا
52	احتلال تونس ومبايعة عبد الواحد بالإمامة
53	وقعة الأصنام
55	2- ثورة المغرب الأدنى
56	ثورة 126 هـ - 744 م
57	ثورة 130 هـ -
61	الفصل الرابع: ثوراتها على العباسيين
63	أ- أثناء حركة أبي الخطاب 140 هـ - 44 هـ
63	نسبه
64	مبايعته
65	فتح طرابلس
66	توسعات أبي الخطاب
66	نكبة القيروان بوقفجومة واستغاثتها بأبي الخطاب
67	فتح القيروان
68	تولية عبد الرحمن بن رستم على القيروان
68	ولاية ابن الأشعث على مصر وحروبه مع أبي الخطاب

72	طرابلس في ظل الحكم العباسي
73	ب- إنشاء حركة أبي حاتم الملوذي 145هـ - 155هـ
73	نسبه
74	مبايعته
74	ثورة طرابلس 154هـ
75	ثورة إفريقية وحصار القيروان
78	نجدة المنصور لعمر بن حفص ومصرعه
81	ج- ثورة أبي يحيى بن فرياس الهواري
83	الفصل الخامس: هواره والدولة الرستمية
86	أولا: في تيهرت
86	دورها في قيام الدولة الرستمية
87	مركز هواره في الدولة الرستمية
89	ثورتها على الإمام عبد الوهاب
91	إمارة هواره
91	موقفها في الصراع الذي أعقب وفاة الإمام أفلح
95	ثانيا: في طرابلس وجبل نفوسة
95	ثورة عياض بن وهب وانضمام هواره إلى الدولة الرستمية....
99	الفصل السادس: هواره والدولة الفاطمية
101	تمهيد

102	 دور هواره في ثورات الخوارج الاباضية
102	 ثورة هواره بطرابلس
103	 ثورة أبي يزيد وموقع هواره فيها
104	 مراحل الثورة:
105	 المرحلة الأولى
106	 المرحلة الثانية
109	 المرحلة الثالثة
112	 الهوامش
132	 الخاتمة
133	 ملاحق
136	 المصادر والمراجع